ابن عبد ربه

سحر البيان

سحر البيان

العقد الفريد

من اشهر المجموعات الأدبية عند العرب.
فيه ادب - وأقوال - ونوادر - وملح -
وتاريخ - واخبار الخ . الخ . . . .

•

سحر البيان

هو كتاب الزمردة الأولى من العقد ،
مضبوط ومشروح بقلم

كرم البستاني

العقد الفريد

لأبي عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الاندلسي

892.708
I132ikaA
v.10
c.1

١٠

سحر البيان

Cat. 26 Dec. 52

مكتبة صادر
بيروت

الحقوق محفوظة لمكتبة صادر

مطبعة المناهل : ٦٨ — ١٩٥١

كتاب الزمردة

في المواعظ والزهد

قال أحمدُ بن محمّد بن عبد ربه : قد مضى قولُنا في الأمثال، وما تَفَنَّنوا فيه على كلّ لسان، ومع كلّ زمان، ونحن نبدأ بعون الله وتوفيقه، بالقول في الزُّهد ورجاله المشهورين به، ونذكر المُنْتَخَلَ[1] من كلامهم، والمواعظَ التي وَعظت بها الأنبياء، واسْتَخْلصها الآباءُ للأبناء، وجَرَت بين الحكماءِ والأدباء، ومَقامات العُبّاد بين أيدي الخُلفاء. فأبلغ المواعظ كلّها كلام الله تعالى الأعزّ الذي لا يأتيه الباطلُ من بين يدَيْه ولا من خَلْفه تنزيلٌ من حكيم حَميد.

قال الله تبارك وتعالى : « ادْعُ إلى سَبيلِ رَبِّكَ بالحِكْمَةِ والمَوْعِظةِ الحَسَنَة » الى آخر السورة. وقال جلّ ثناؤه : « كيْفَ تَكْفُرُونَ باللهِ وَكُنْتُمْ أمْواتاً فأحياكُم ثُمّ يُميتُكُم ثُمّ يُحيِيكُم ثُمّ إليْه تُرْجَعُون. » وقال : « أوَلَمْ يَرَ الإنْسانُ أنّا خَلَقْناهُ مِنْ نُطْفةٍ فإذا هُوَ

---

١ المنتخل : المنتقى ، المختار .

خَصِيمٌ مُبِين » الى قوله « عَلِيم » . فهذه أبلغُ الحُجَجِ وأحكم المواعظ .

ثم مواعظُ الأنبياء، صلواتُ الله عليهم ، ثم مواعظُ الآباء للأبناء ، ثم مواعظُ الحُكماء والأدباء ، ثم مَقامات العُبَّاد بين أيدي الخُلفاء . ثم قولهم في الزُّهد ورجاله المعروفين به ، ثم المَشْهورين من المنتَسِبين إليه .

والموعظةُ ثقيلةٌ على السمْع ، مُحَرَّجة على النفس[1] ، بعيدة من القَبول ، لاعتراضها الشَّهوة ، ومُضادَّتها الهوى ، الذي هو ربيع القَلب ، ومَراد الرُّوح ، ومَربَع اللَّهو ، ومَسْرَح الأماني ، إلا مَن وَعظه عِلْمُه ، وأرشده قَلبُه ، وأحْكَمَتْه تجْربتُه .

قال الشاعر :

لَنْ تَرْجعَ الأنفسُ عن غَيِّها ،
حتى يُرى منها لهـا واعظُ

وقالت الحكماء : السَّعيد مَن وُعِظ بغيره ، لا يَعْنُون مَن وَعظه غيرُه ، ولكنْ من رأى العِبَر في غيره فاتَّعظ بها في نفسه . ولذلك كان يقول الحَسَن : اقْدَعُوا[2] هذه النفوس

---

١ محرجة على النفس : مضيقة عليها .
٢ اقدعوا : كفوا .

فإنها طُلَعَة[1]، وحادثوها بالذِّكر[2]، فإنها سريعة الدُّثور، واعصُوها فإنها إن أُطيعت نَزَعَتْ الى شَرّ غاية .

وكان يقول عند انقضاء مجلسه وختْم مَوعظته : يا لها من موعظة لو صادفتْ من القلوب حياةً .

وكان ابن السمّاك يقول إذا فَرَغ من كلامه : ألْسُنٌ تَصف ، وقلوب تعرف ، وأعمال تُخالَف .

وقال يونُس بن عُبَيد : لو أُمِرْنا بالجزَع لَصبَرنا ؛ يريد ثِقَل الموعظة على السمْع ، وجُنوحَ النفس الى مُخالفتها .

ومنه قولهم :

أحَبُّ شيءٍ الى الإنسانِ ما مُنِعا

وقولهم :

والشيءُ يُرْغَبُ فيه حين يَمتنِعُ

والموعظةُ مانعةٌ لك مما تَشْتهي ، حاملةٌ لك على ما تَكرَه ، إلا أن تلْقاها بسَمْعٍ قد فَتقَتْه العِبْرة ، وقلبٍ قدَحَت فيه الفِكْرَة ، ونفسٍ لها من عِلْمها زاجر ، ومن عقلها رادع ، فيُفْتَح لك بابُ التوبة ، ويُوَضَّحُ لك سبيلُ الإنابة .

---

١ طلعة : كثيرة التطلع الى الشيء .
٢ حادثوها بذكر الله .

قال النبي ، صلّى الله عليه وسلّم : حُفَّت الجنّة بالمكاره ، وحُفَّت النار بالشّهوات ؛ يريد أنّ الطريقَ الى الجنة احتمالُ المكاره في الدنيا ، والطريقَ الى النار ركوبُ الشّهوات .

وخيرُ الموعظة ما كانت من قائل مخلص الى سامع مُنْصِف .

وقال بعضهم : الكلِمة إذا خَرَجَتْ من القلب وقعَتْ في القلب ، وإذا خَرَجت من اللّسان لم تُجاوز الآذان .

وقالوا : ما أَحْسَنَ التاجَ ! وهو على رأس المَلِك أَحْسَنُ ؛ وما أَحسنَ الدُّرَّ ! وهو على نَحر الفتاة أحسن ؛ وما أحسنَ الموعظة ! وهي من الفاضل التَّقِيّ أحسنُ .

وقال زياد : أيها الناسُ ، لا يَمْنَعكم سوءُ ما تعلمون منّا أن تَنْتفعوا بأحْسَن ما تسمعون منّا .

قال الشاعر :

اعْمَلْ بقولي ، وإنْ قَصَّرْتُ في عَمَلي ،
يَنْفَعْكَ قَولي ، ولا يضُرُّكَ تَقْصيري

•

وقال عبدُ الله بن عبّاس : ما انتفعتُ بكلام أحدٍ بعدَ رسول الله ، صلّى الله عليه وسلم ، ما انتفعتُ بكلامٍ كتبَه إليّ عليُّ بن أبي طالب ، رضي اللهُ عنه . كَتَب إليّ : أمّا بعد ، فإن المرءَ يَسرُّه إدراكُ ما لم يَكُن ليَفوتَه ، ويسوءُه فَوْتُ ما

لم يَكُن لِيُدرِكه ، فَلْيَكن سرورُك بما نِلْتَ من أمر آخرتك ، ولْيَكن أسفُك على ما فاتَك منها . وما نِلْتَ من أمرِ دُنياك فلا تكن به فَرِحاً ، وما فاتك منها فلا تَأسَ عليه جَزعاً ، وليكن هَمُّك ما بعد الموت .

ووقَف حكيم بباب بعض المُلوك ، فَحُجِب فتلطّف برُقْعة أوْصَلَها إليه . وكتب فيها هذا البيت :

أَلم تَرَ أنّ الفَقْرَ يُرْجى له الغِنى ،
وأنّ الغِنى يُخشى عليه من الفَقْرِ؟

فلما قرأ البيتَ لم يلبث أن انتعل[1] وجعل لاطئةً[2] على رأسه وخرج في ثوب فِضال[3]؛ فقال له : والله ما اتّعظتُ بشيءٍ بعد القرآن اتعاظي ببَيْتك هذا ؛ ثم قضى حوائجه .

•

---

١ انتعل : أدخل رجليه في نعليه .
٢ لاطئة : قلنسوة أو نحوها مما يلصق بالرأس .
٣ الفضال : الذي يلبس في البيت ويبتذل للنوم .

مواعظ الانبياء عليهم السلام

قال أبو بكر بن أبي شَيْبَة، يرفعه الى النبي، صلّى الله عليه وسلم، قال: يكفي أحدَكم من الدنيا قدرُ زادِ الرّاكب.

وقال صلّى الله عليه وسلّم: ابنَ آدم، اغْتَنِم خَمْساً قبل خمس: شبابَك قبل هَرمك، وصِحَّتَك قبل سَقَمك، وغِناك قبل فَقْرك، وفَراغَك قبل شُغْلك، وحياتَك قبل مَوتك.

عبدُ الله بن سلاّم قال: لما قَدِم علينا رسولُ الله، صلى الله عليه وسلّم، المدينة أتيتُه، فلما رأيتُ وجهه عَلِمْتُ أنه ليس بوجهِ كذّاب، فسمعتُه يقول: أيها الناسُ، أَطعِموا الطعامَ، وأَفْشوا السلامَ، وصلّوا والناسُ نيام.

•

وقال عيسى بنُ مَريم، عليه السلام: ألا أُخبِركم بخيركم مجالسة؟

قالوا: بلى يا رُوح الله.

قال: مَن تُذكّركم بالله رؤيتُه، ويَزيد في عَملكم مَنطقه، ويَشُوقكم إلى الجنّة عملُه.

وقال عيسى بن مريم، عليهما السلام، للحواريّين: ويلكم يا عبيد الدُّنيا! كيف تُخالِف فروعُكم أُصولَكم، وأهواؤكم عقولَكم، قولُكم شِفاءٌ يبرىء الداء، وَفِعْلُكم داء لا يَقبلُ الدواء، لستم كالكَرْمَة التي حَسُنَ وَرَقها، وطابَ ثَمَرُها، وسَهُل مُرتقاها، ولكنكم كالسَّمُرة التي قَلَّ وَرَقُها، وكثُر شَوكها، وصَعُب مُرتقاها.

ويلكم يا عَبيدَ الدنيا! جعلتم العملَ تحت أقدامكم، من شاءَ أخَذه، وجعلتم الدنيا فوق رؤوسكم، لا يمكن تناولها، فلا أنتم عبيدٌ نُصحاء، ولا أحرارٌ كِرام.

ويلكم يا أُجَرَاءَ السَّوء! الأجْرَ تأخذون، والعملَ تفسِدون، سوف تَلْقَوْن ما تحذرون، إذا نظر ربُّ العمل في عَمَلِه الذي أفسدتم، وأجرِه الذي أخذتم.

وقال عليه السلام للحواريّين: اتّخِذُوا المساجِدَ بُيوتاً، والبيوتَ مَنازلَ، وكُلُوا بَقْل البرّيّة، واشرَبوا الماءَ القَراح، وانجُوا من الدنيا سالمين.

وقال عليه السلام للحواريّين: لا تنظُروا في أعمال الناس كأنكم أرْباب، وانظروا في أعمالكم كأنكم عَبيد، فإنما الناسُ رجلان: مُبْتَلى ومُعافى، فارحموا أهْلَ البلاء، واحمدوا الله على العافية.

وقال عليه السلامُ لهم أيضاً : عجباً لكم تَعْملُون للدنيا وأنتم تُرزقون فيها بلا عَمل ، ولا تَعملون للآخرة وأنتم لا تُرْزَقون فيها إلا بعمل !

•

وقال يحيى بن زكريا ، عليه السلام ، للمُكَذِّبين من بني اسرائيل : يا نَسْلَ الأفاعي ، من دلَّكم على الدخول في مَساخط الله المُوبقة لكم ؟ ويْلكم ! تَقَرَّبُوا بِعَمَل صالح ، ولا تَغُرَّنكم قرابتكم من إبراهيم ، عليه السلام ، فإن الله قادر على أن يَسْتخرج من هذه الجنادل[1] نَسْلاً لإبراهيم . إن الفأس قد وُضِعَتْ في أصول الشجر ، فأخْلِق بكلِّ شَجَرَة مُرَّة الطَّعم أن تُقْطع وتُلقى في النار .

•

وقال شَعْيَاء لبني إسرائيل إذ أنطق الله لسانه بالوَحي : إن الدابَّة تَزْداد على كثرة الرِّياضة لِيناً ، وقُلوبكم لا تزداد على كَثرة المَوْعظة إلاَّ قَسْوة ، إنَّ الجَسد إذا صَلَح كفاه القليلُ من الطَّعام ، وإنَّ القَلْب إذا صَحَّ كَفاه القليلُ من الحِكْمة . كم من سِراج قد أَطْفأتْه الرِّيحُ ، وكم من عابدٍ قد أَفسده العُجْب .

---

١ الجنادل ، واحدها جندل : الصخر العظيم .

يا بني اسرائيل ، اسمعوا قولي ، فإن قائلَ الحِكمة وسامعها شريكان ، وأَوْلاهما بها مَن حقَّقها بعمله .

•

وقال المسيحُ ، عليه السلام: إنّ أَوْلياءَ الله لا خوفٌ عليهم ولا هم يَحزنون ، الذين نَظَروا إلى باطن الدُّنيا إذ نَظر الناس إلى ظاهرها ، وإلى آجِلها إذ نَظَروا إلى عاجِلها، فأماتوا منها ما خَشُوا أن يُميتهم ، وتركوا ما عَلموا أن سَيتْركهم ، هم أعداءٌ لما سالم الناسُ ، وسِلْمٌ لما عادَى الناسُ ، لهم خبرٌ ، وعندهم الخبر العجيب ، بهم نَطَق الكِتابُ وبه نطقوا ، وبهم عُلِم الهدى وبه عُلِموا ، لا يَرَوْن أماناً دون ما يَرْجون ، ولا خوفاً دون ما يَحْذرُون .

•

وَهْب بن مُنَبِّه قال: قال داودُ، عليه السلام : يا رَبِّ ، ابنُ آدم ليس منه شَعَرة إلا وتحتها لك نِعْمة ، وفوقَها لك نعمة ، فمن أيْن يُكافئُك بما أعطيتَه ؟

فأوحى الله إليه : يا داود ، إني أُعطي الكثير ، وأرضى من عبادي بالقليل ، وأَرْضى من شُكْر نِعْمتي بأن يعلم العبدُ أن ما به من نِعْمة فمن عِندي لا من عِنْد نفسه .

•

ولما أمر الله، عزّ وجلّ، إبراهيم، عليه السلام، أن يذبح ولده ويجعله قُرباناً، أسرّ بذلك الى خليل له يقال له العازر، وكان له صديقاً، فقال له الصديق: إن الله لا يَبْتلي بمثل هذا مِثْلَك، ولكنه يريد أن يختبِرك أو يَخْتبر بك، وقد علمتَ أنه لا يبتليك بمثل هذا لِيَفْتنك، ولا ليُضلك، ولا ليُعْنتك، ولا ليَنقُصَ به بصيرتَك وإيمانك ويَقينك، فلا يَرُوعَنَّك هذا، ولا يَسُوأَنَّ بالله ظنك، وإنما رَفع الله اسمك في البلاءِ عنده على جميع أهل البلايا، حتى كنت أعظمهم مِحْنة في نفسك وولَدك، لِيَرْفعك بقَدْر ذلك في المنازل والدرجات والفَضائل، فليس لأهل الصبر في فضيلة الصَّبر إلا فضلُ صبْرك، وليس لأهل الثواب في فضيلة الثواب إلا فضلُ ثوابك، وليس هذا من وُجوه البلاء الذي يَبْتلي الله به أولياءه، لأنّ الله أكرمُ في نفسه وأعدل في حكمه وأرْحم بعباده من أن يجعلَ ذبح الولد الطيّب بيد الوالد النبيّ المُصْطفى، وأنا أعوذ بالله أن يكون هذا منّي حَتْماً على الله أو ردّاً لأمره أو سُخطاً لِحُكمه، ولكنْ هذا الرّجاء فيه والظنُّ به، فإن عَزَم ربُّك على ذلك فكُن عند أحْسَن علمه بك، فإنّي أعلمُ أنه لم يُعرّضك لهذا البلاء الجَسيم والخَطْب العظيم إلا لحُسْن عِلْمه بك وصِدْقِك وتَصَبُّرك، ليجعلك إماماً، ولا حَوْلَ ولا قوّة إلا بالله العليّ العظيم.

من وحي الله تعالى

الى أنبيائه

أوحى الله، عزّ وجلّ، الى نبيّ من أنبيائه: إني أنا الله مالكُ المُلوك، قلوبُ المُلوك بيدي، فمن أطاعني جعلتُ الملوكَ عليهم رحمةً، ومَن عَصاني جعلتُ الملوك عليهم نِقْمةً.

ومما أنزل اللهُ على المسيح، عليه السلام، في الإنجيل: سَوَّفنا كم فلم تشتاقوا، ونُحْنا لكم فلم تبكوا. يا صاحبَ الخمسين، ما قدَّمْتَ وما أخَّرْت؟ ويا صاحبَ السّتين، قد دنا حَصادُك؛ ويا صاحبَ السَّبْعين، هلُمّ الى الحِساب.

وفي بعض الكُتب القديمة المنزّلة، يقول الله، عزّ وجلّ، يومَ القيامة: يا عِبادي، طالما ظَمِئْتم، وتقلَّصت في الدنيا شفاهُكم. وغارت أعينكم عطَشاً وجُوعاً، فكُلُوا واشربوا هَنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية.

وأوْحى الله تعالى الى نبيّ من أنبيائه: هَبْ لي من قلبك الخُشوع، ومن نَفْسك الخُضوع، ومن عَينيْك الدموع، وسَلْني فأنا القريب المجيب.

وفي بعض الكتب : عبْدي ، كم أتحبّب إليك بالنّعم وتتبغّض إليّ بالمعاصي ! خيْري إليك نازل ، وشرُّك إليّ صاعد.

وأوْحى الله الى نَبيّ من أنبيائه : إن أردتَ أن تَسكن غداً حظيرةَ القُدْس فكُن في الدنيا فريداً وحيداً ، طريداً مهموماً حزيناً ، كالطير الوحْدانيّ يَظَلّ بأرض الفَلاة ، ويَرِدُ ماء العيون ، ويأكل من أطراف الشجر ، فإذا جَنّ عليه الليلُ أوى وحدَهُ استيحاشاً من الطير ، واستئناساً بربّه .

•

ومما أوحى الله الى موسى في التوراة : يا موسى بن عمران ، يا صاحبَ جبل لبنان ، أنت عَبدي وأنا الملك الديّان ، لا تستذلّ الفقيرَ ، ولا تَغْبِط الغَنيّ بشيءٍ يسير ، وكُن عند ذكْري خاشعاً ، وعند تلاوة وحيي طائعاً ، أسْمِعني لذاذة التوراة بصوت حزين .

وقال وَهْبُ بن مُنَبِّه : أوحى الله الى موسى عند الشجرة : لا تُعْجبك زينةُ فِرعون ، ولا ما مُتِّع به ، ولا تَمُدَّنّ الى ذلك عينَك ؛ فإنها زهرة الحياة الدنيا ، وزينةُ المُتْرَفين ؛ ولو شئتُ أن أُوتيك زينة يَعْلم فِرعوْن حين ينظر إليها أن مقْدِرَتَه تعجِزُ عنها فعلتُ ، ولكنّي أرغبتُك عن ذلك ، وأَزوَيتُهُ عنك ؛ فكذلك أفعل بأوليائي ، إني لأذودهم عن نعيمها ولذاتها كما يذُود

الراعي الشفيقُ غَنَمه عن مراتع الهَلَكة ، وإني لأحْمِيهم عيشَها وسَلْوَتها[1] ، كما يَحْمِي الرَّاعي ذَوْدَه عن مَبارك العُرّ[2] .

•

وذُكر عن وَهْب بن مُنَبِّه : أنّ يوسف لما لَبِثَ في السجن بِضْع سنين أرسل الله جبريلَ إليه بالبِشارة بخروجه ، فقال : أما تَعْرِفُني أيها الصِّدّيق ؟

قال يوسف : أرى صورةً طاهرة ورُوحاً طيِّباً لا يُشبِه أرواح الخاطئين .

قال جِبْريلُ : أنا الرُّوح الأمين ، رسولُ ربّ العالمين .

قال يوسف : فما أدْخلك مَداخل المُذْنبين ، وأنت سيّد المُرسَلين ، ورأسُ المُقَرَّبين ؟

قال : ألم تَعلم أيها الصِّدّيق أن الله يُطَهِّر البيوت بطُهْر النبيّين ، وأن البُقعة التي تكون فيها هي أطهرُ الأرَضين ، وأن الله قد طهَّر بك السجن وما حوله يابن الطّاهرين ؟

قال يوسف : كيف تُشَبِّهني بالصالحين ، وتُسمِّيني بأسماء الصادقين ، وتَعُدُّني مع آبائي المُخلصين ، وأنا أسير بين هؤلاء المجرمين ؟

---

١ السلوة : رخاء العيش .

٢ الذود : الابل . العر ، واحدها الاعر : الجمال الجرب .

قال جبريل : لم يكلم قلبكَ الجزع ، ولم يُغيّر خُلقَك البلاء ، ولم يتعاظمْكَ السجن ، ولم تَطَأ فراشَ سيّدك ، ولم يُنْسِك بلاءُ الدُّنيا الآخرة ، ولم يُنْسِك بلاءُ نفسك أباك ، ولا أبوك ربَّك ، وهذا الزّمان الذي يَفُكُّ الله فيه عُنُقك ، ويَعتِق فيه رَقَبتك ، ويبيّن للناس فيه حِكْمَتَك ، ويُصدّقُ رؤياك ، ويُنْصفك ممن ظَلمك ، ويجمع لك أحِبَّتك ، وَيهَب لك مُلْكَ مصر ، تملِك ملوكها ، وتُعَبِّد جبابرتها ، وتُصَغِّر عظماءها ، ويُذِلّ لك أعِزّتها ، ويُخْدِمك سُوقَتها ، ويُخوّلك خَوَلها ، ويرحم بك مساكينَها ، ويُلْقي لك المودَّة والهيْبة في قلوبهم ، ويجعل لك اليد العُليا عليهم ، والأثرَ الصالح فيهم ، ويُرِي فرعونَ حُلْماً يفزَعُ منه حتى يسهرَ ليلَه ، ويُذهبَ نومَه ، ويُعَمِّي عليه تفسيرَه وعلى السَّحَرة والكهنة ، ويُعَلِّمك تأويلَه .

•

مواعظ الحكماء

قال عليّ بن أبي طالب، كرّم الله وَجْهَه: أُوصيكم بخَمْس لو ضرَبتم عليها آباط الإبل لكان قليلًا: لا يَرْجُوَنّ أحدكم إلا ربَّه، ولا يَخافنّ إلا ذنبه، ولا يستحي إذا سُئل عما لا يَعلم أن يقول: لا أعلم. وإذا لم يَعلم الشيء أن يتعلّمه. واعلموا أن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، فإذا قُطع الرأس ذهب الجسد.

وقال أيضاً: من أراد الغِنى بغير مال، والكثرة بلا عشيرة، فليتحوّل من ذُلّ المَعصية إلى عزّ الطاعة، أبى الله إلا أن يُذِلّ مَن عصاه.

وقال الحسنُ: مَن خاف اللهَ أخاف اللهُ منه كلّ شيء، ومَن خاف الناسَ أخافه اللهُ من كل شيء.

•

وقال بعضُهم: من عَمِلَ لآخرته كَفَاه الله أمرَ دنياه، ومن أَصْلح ما بينه وبين الله أصلح الله ما بينه وبين الناس، ومَن أخلص سريرتَه أخلص الله علانيَتَه.

قال العُتْبيّ : اجتمعت العربُ والعجم على اربع كلمات ؛ قالوا : لا تَحْملنّ على قلبك ما لا يُطيق ، ولا تعملنّ عملاً ليس لك فيه مَنْفعة ، ولا تَثِقْ بامرأة ، ولا تَغْتَرّ بمال وإن كثُر .

•

وقال أبو بكْر الصّدّيق لعُمَر بن الخطّاب ، رضي الله عنهما ، عند مَوته حين استخلَفه : أُوصيك بتقوى الله ، إن لله عملاً بالليل لا يَقْبَلُه بالنهار ، وعملاً بالنهار لا يَقْبَله بالليل ، وإنه لا يقبل نافلة حتى تُؤدّى الفرائض ، وإنما ثَقُلَت موازينُ مَن ثقُلت موازينهم يومَ القيامة باتباعهم الحقّ وثِقَلِه عليهم ، وحُقّ لميزانٍ لا يُوضَع فيه إلا الحقُّ أن يكون ثقيلاً ، وإنما خَفّت موازينُ من خَفّت موازينهم يومَ القيامة باتباعهم الباطل في الدُّنيا وخِفّته عليهم ، وحُقّ لميزانٍ لا يوضع فيه إلا الباطل أن يكون خفيفاً .

وإن الله ذَكَر أهلَ الجنّة فذَكرهم بأحسن أعمالهم ، وتجاوز عن سيئاتهم ؛ فإذا سمعتَ بهم قُلْت : إني أخاف أن لا أكون من هؤلاء ؛ وذكَرَ أهل النار بأقبح أعمالهم ، وأمسك عن حَسَناتهم ؛ فإذا سمعتَ بهم قلتَ : أنا خيرٌ من هؤلاء ؛ وذكر آية الرحمة مع آية العذاب ليكونَ العبدُ راغباً راهباً لا يتمنى على الله غيرَ الحق .

فإذا حفظت وصيَّتي فلا يكونَنَّ غائبٌ أحبَّ إليك من الموت، وهو آتيك؛ وإن ضيَّعْت وصيَّتي فلا يكونَنَّ غائبٌ أكرَه إليك من الموت، ولن تُعْجزه.

•

ودخل الحسن بن أبي الحسن على عبد الله بن الأهتم يعودُهُ في مرضه، فرآه يُصَوِّب بصره في صُندوق في بيته ويُصَعِّده، ثم قال: أبا سَعيد، ما تقول في مائة ألف في هذا الصُّندوق لم أُؤَدِّ منها زكاةً، ولم أَصِل منها رَحِماً؟

قال: ثَكِلَتْكَ أُمك، ولمن كنتَ تَجْمعها؟

قال: لرَوْعة الزمان، وجَفوة السلطان، ومُكاثرة العشيرة.

قال: ثم مات، فشَهِدَه الحسنُ، فلما فَرَغَ من دَفْنِه، قال: انظروا الى هذا المسكين، أتاه شيطانُه فحذّره رَوْعة زمانه، وجَفوة سُلطانه، ومُكاثرة عشيرته، عما رزقه الله اياه وغَمره فيه، انظروا كيف خَرج منها مَسلوباً محروباً[1].

ثم التفتَ الى الوارث فقال: أيها الوارث، لا تُخْدَعَنَّ كما خُدِعَ صُوَيْحبك بالأمس، أتاك هذا المال حلالاً، فلا يكونن عليك وبالاً، أتاك عفواً صفواً، ممن كان له جَموعاً مَنوعاً،

---

١ محروباً: مسلوب المال.

من باطل جَمَعه ، ومن حقٍّ منَعه ، قطع فيه لُجَجَ البِحار ، ومَفاوِزَ القِفار ، لم تَكْدح فيه بيَمين ، ولم يَعْرَق لك فيه جَبين ، إنّ يوم القيامة يومٌ ذو حَسَرات ، وإن من أعظم الحسرات غداً أن ترى مالك في ميزان غَيرك ، فيا لها عَثْرة لا تُقال ، وتوبة لا تُنال !

•

ووعظَ حكيم قوماً فقال : يا قوم ، استَبْدِلوا العَواريَ بالهِبات تَحْمَدوا العُقْبى ؛ واستقبِلوا المصائب بالصَّبْر تستحِقُّوا النُّعْمى ، واستَديموا الكَرامة بالشُّكر تَسْتَوْجبوا الزِّيادة ، واعرفوا فَضْل البَقاء في النِّعمة ، والغِنى في السلامة ، قبل الفِتْنَة الفاحِشة ، والمَثُلة[1] البينة ، وانتقال العَمَل ، وحُلول الأجَل ، فإنما أنتم في الدُّنيا أغراض المَنايا ، وأَوطان البلايا ، ولن تنالوا نِعْمَة إلا بفِراق أُخرى ، ولا يَستقبل مُعَمَّرٌ مِنكم يوماً من عُمره إلا بانتقاص آخرَ من أجَله ، ولا يَحيا له أثر إلا مات له أثر . فأنتم أعوان الحُتُوف على أنفسكم ، وفي معايشكم أسبابُ مَنَاياكم ، ولا يمنعكم شيء منها ، ولا يَشْغَلكم شيء عنها . فأنتم الأخلاف بعد الأسلاف ، وستكونون أسلافاً بعد الأخلاف ، بكل سبيل منكم صَريعٌ مُنعَفِر ، وقائم يَنْتظر ، فمن أيّ

---

١ المثلة : العقاب والعذاب .

وجهٍ تَطْلُبون البَقاء وهذان الليلُ والنهارُ، لم يَرْفَعا شيئاً قَطُّ إلاّ أسرَعا الكرَّة في هَدْمه، ولا عَقَدا أمراً قطُّ إلاّ رَجَعا في نقضه.

•

وقال أبو الدَّرْداء: يا أهلَ دِمَشق، ما لكم تَبْنون ما لا تَسْكنون، وتأمُلون ما لا تُدرِكون، وتَجمعون ما لا تأكلون؟ هذه عادٌ وثمود قد مَلأوا ما بين بُصْرى وعَدَن أموالاً وأولاداً، فمن يَشتري منّي ما تركوا بدرهمين؟

•

وقال ابن شُبْرُمَة: إذا كان البَدَن سقيماً لم يَنْجَع فيه الطعام ولا الشراب، وإذا كان القلب مُغْرَماً بِحُبّ الدنيا لم تَنْجَع فيه الموعظة.

وقال الربيع بن خُثَيم: أقْلِل الكلام إلا من تِسْع: تكبيرٍ وتهليل وتَسْبيح وتَحميد وسؤالِكَ الخير وتَعَوُّذِك من الشرّ وأمرِكَ بالمعروف ونَهْيِكَ عن المُنْكر وقراءتك القرآن.

•

قال رجل لبعض الحُكماء: عِظْني. قال: لا يَراك الله بحيث نَهاك، ولا يَفقِدك من حيثُ أمرَك.

وقيل لحكيم : عِظْني . قال : جميعُ المواعظ كلّها مُنتظمة في حرف واحد .

قال : وما هو ؟

قال : تُجْمِع على طاعة الله ، فإذا أنت قد حَوَيت المواعظ كلّها .

•

وقال أبو جعفر لسُفْيان : عِظْني . قال : وما عَمِلتَ فيما عَلِمتَ فأعِظَك فيما جهلتَ ؟

•

قال هارون لابن السمّاك : عِظني . قال : كَفى بالقرآن واعظاً . يقول الله تبارك وتعالى : « أَلَمْ تَرَ كيفَ فَعَلَ رَبُّكَ بعاد . إرَمَ ذاتِ العِماد . التي لم يُخْلَق مثلُها في البلاد » الى قوله « فَصَبَّ عليهم ربُّك سَوْط عَذاب . إنّ ربَّك لَبالمِرصاد . »

•

مكاتبة جرت بين الحكماء

عَتَبَ حَكِيمٌ على حكيم ، فَكَتَبَ المَعْتُوبُ عليه الى العاتب : يا أخي ، إنّ أيام العُمر أقصرُ من أن تحتمل الهَجْر . فَرَجع إليه .

•

وكتب الحسنُ الى عُمرَ بن عبد العزيز : أما بعد ، فكأنك بالدنيا لم تكُن ، وبالآخرة لم تَزَل ، والسلام .

وكتب إليه عُمر : أما بعد ، فكأن آخر من كُتِبَ عليه الموت قد مات ، والسلام .

•

ابنُ المُبارك قال : كتب سَلْمان الفارسيّ الى أبي الدّرداء : أما بعد ، فإنك لن تنال ما تُريد إلا بتَرْكِ ما تشتهي ، ولن تنال ما تأمُل إلا بالصَّبر على ما تَكْره . فَلْيكُن كلامُك ذِكْراً ، وصَمْتك فِكراً ، ونظرك عِبَراً ، فإن الدُّنيا تتقلب ، وبهجتها تتغيَّر ، فلا تغترّ بها ، وليكن بيتُك المسجدَ ، والسلام .

فأجابه ابو الدّرداء : سلامٌ عليك ، أما بعد ، فإني أُوصيك بتَقْوى الله ، وأن تأخذ من صِحَّتِك لِسَقَمِك ، ومن شبابك

لِهَرَمك ، ومن فراغك لِشُغلك، ومن حياتك لِمَوْتك ،ومن جَفائك لمودَّتك، واذكر حياةً لا موتَ فيها في إحدى المنزلتين، إما في الجنة ، وإما في النار ، فإنك لا تَدْري إلى أيهما تَصير .

•

وكتب أبو موسى الأشعريّ إلى عامر بن عبد القَيْس : أما بعد ، فإني عاهدتُكَ على أمر وبَلغني أنك تغيَّرت ، فإن كنت على ما عَهِدْتُك فاتّقِ الله ودُمْ، وإن كنتَ على ما بلغني فاتّقِ الله وعُدْ .

•

وكتب محمد بن النَّضر إلى أخ له : أما بعدُ ، فإنك على مَنْهج ، وأمامك منزلان لا بدَّ لك من نُزول أحدهما ، ولم يَأتِكَ أمانٌ فتَطْمَئِنَّ ، ولا براءة فتتَّكل .

•

وكتب حكيم إلى آخر : اعلم ، حَفِظك الله ، أنّ النفوس جُبِلت على أَخْذِ ما أُعْطِيتْ ومَنْعِ ما سُئِلتْ ، فاحْمِلها على مَطيّة لا تُبطىءُ إذا رُكبت ، ولا تُسْبَق إذا قُدِّمَتْ ، فإنما تحفظ النفوسُ على قَدْر الخوف ، وتَطْلُب على قَدْرِ الطمع ، وتطْمَع على قدر السبب . فإذا استطعت أن يكون معك خوف المُشْفِق وقناعة الرّاضي فافعل .

•

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى رجاء بن حَيْوة : أما بعد، فإنه مَن أكثر من ذِكْر الموت اكتفى بالـيَسير ، ومن عَلِم أنَّ الكلامَ عملٌ قلَّ كلامُه إلا فيما يَنْفَعه .

•

وكتب عمر بن الخطاب إلى عُتبة بن غزوان عامِله على البَصْرة : أما بعد ، فقد أصبحتَ أميراً تقول فيُسمع لك ، وتأمر فينفّذ أمرُك ، فيا لها نعمةً إن لم تَرْفعك فوق قَدْرك ، وتُطْغِك على مَن دونك ، فاحتَرِس من النِّعمة أشدّ من احتراسك من المُصيبة ، وإياك أن تَسْقُطَ سَقْطَة لا لعا لها ، أي لا إقالة لها ، وتَعْثُرَ عَثْرَة لا تُقالها ، والسلام .

•

وكتب الحسنُ إلى عمَر : إن فيما أمرك الله بـه شُغْلًا عما نهاك عنه ، والسلام .

•

وكتب عمرُ بن عبد العزيز إلى الحسن : اجمع لي أَمْر الدنيا وصِفْ لي أمرَ الآخرة .

فكتب إليه : إنما الدُّنيا حُلْم والآخرة يَقَظَة والموت متوسِّط ؛ ونحن في أضغاث أحْلام، من حاسَبَ نَفْسَه رَبح، ومن غَفلَ عنها خَسِر ، ومن نَظر في العواقِبِ نَجَا ، ومن

أطاعَ هواه ضَلَّ ، ومن حَلُم غَنِم ، ومن خافَ سَلِمَ ، ومن اعْتَبَرَ أَبْصر ، ومن أَبْصَرَ فَهِم ، ومن فَهِمَ عَلِمَ ، ومن عَلِمَ عَمِلَ ، فإذا زللتَ فارْجع ، وإذا نَدِمْت فأقلع ، وإذا جَهِلْت فاسأل ، وإذا غَضِبْتَ فأمْسِك ، واعلم أن أفضلَ الأعمال ما أُكرِهَت النفوس عليه .

مواعظ الآباء للابناء

قال لُقمانُ لابنه : إذا أتيت مجلسَ قومٍ فارمِهِمْ بسَهْم السلام ثم اجلس ، فإن أفاضوا في ذِكْر الله فأجِلْ سَهْمَك مع سِهامهم ، وإن أفاضوا في غير ذلك فتَخَلَّ عنهم وانهض.

وقال : يا بُنيّ ، استَعِذ بالله من شِرَار الناس وكُنْ من خِيَارهم على حَذَر .

ومثلُ هذا قولُ أكثم بن صَيْفي : احذر الأمين ولا تأتمن الخائن ، فإنّ القلوب بيد غيرك .

وقال لُقمان لابنه : لا تَرْكَنْ إلى الدُّنيا ، ولا تَشْغَل قلبك بها ، فإنك لم تُخْلَق لها ، وما خَلَق الله خَلْقاً أهون عليه منها ، فإنه لم يجعل نعيمها ثواباً للمُطيعين ، ولا بلاءَها عقوبة للعاصين .

يا بُنيّ ، لا تضحك من غير عَجب ، ولا تَمْشِ في غير أرب ، ولا تسأل عما لا يَعنيك .

يا بُنيّ ، لا تُضَيِّع مالك وتُصْلِح مالَ غيرك ، فإن مالك ما قدَّمت ، ومالَ غيرك ما تركت .

يا بنيّ ، إنه من يَرْحم يُرْحَم ، ومن يَصْمُت يَسْلم ، ومن يَقُل الخير يَغْنم ، ومَنْ يقُل الباطل يأثم ، ومن لا يملِك لِسانَه يندم .

يا بنيّ ، زاحم العلماءَ بِرُكْبَتَيك ، وأنصت إليهم بأذنيك ، فإنّ القلب يَحيا بنور العُلماء كما تحيا الأرض المَيتة بمطَر السماء .

•

وقال خالدُ بن صفوان لابنه : كُن أحسنَ ما تكون في الظاهر حالاً ، أقلّ ما تكون في الباطن مآلاً ، ودَعْ من أعمال السرّ ما لا يصْلُح لك في العلانيَة .

وقال أعرابيّ لابنه : يا بُنيّ ، إنه قد أَسْمَعك الدّاعي ، وأعذر إليك الطالب ، وانتهى الأمرُ فيك الى حَدّه ، ولا أعرِف أعظمَ رزية ممن ضَيّع اليقين وأخْطأه الأمَلُ .

وقال عليُّ بن الحسين لابنه ، وكان من أفضل بني هاشم : يا بنيّ ، اصْبِر على النّوائب ، ولا تَعرّض للحُتوف ، ولا تُجِبْ أخاك من الأمر الى ما مَضَرّته عليك أكثر من منْفَعَته لك .

وقال حكيم لبنيه : يا بَنيّ ، إياكم والجزَعَ عند المَصائب ، فإنه مَجلبة للهم وسوء ظَنٍّ بالرب وشماتةٌ للعدوّ ، وإياكم أن تكونوا بالأحداث مُغْترين ، ولها آمنين ، فإني والله ما سَخِرْت من شيء إلا نزل بي مثله ، فاحذَروها وتوقّعوها ، فإنما الانسان

في الدُّنيا غرَضٌ تتَعاوره السِّهام ، فمُجاوزٌ له ومُقصِّر عنه وواقع عن يَمينه وشماله ، حتى يُصيبه بعضها ؛ واعلموا أنّ لكل شيء جزاءً ولكل عمل ثواباً . وقد قالوا : كما تَدِين تُدان ، ومن بَرَّ يوماً بُرَّ به .

•

وقال الشاعر :

إذا ما الدّهر جرَّ ، على أُناس ، حوادثَه ، أناخَ بآخَرِينا

فقُل للشّامتين بنا أفيقوا ، سيَلقى الشامِتون كما لقِينا

•

وقال حكيم لابنه : يا بُنَيّ ، إني مُوصيك بوصيّة ، فإن لم تحفظ وصيتي عنّي لم تَحفَظها عن غيري : اتّقِ الله ما استطعتَ ، وإن قَدَرْت أن تكون اليومَ خيراً منك أمس وغداً خيراً منك اليومَ فافعل ، وإياك والطمعَ فإنه فَقْرٌ حاضِر ، وعليك باليأس فإنك لن تيأسَ من شيء قطُّ إلا أغناك الله عنه ، وإياك وما يُعتَذر منه فإنك لن تَعتَذر من خير أبداً ، وإذا عَثر عاثر فاحمَد الله أن لا تكون هو .

يا بُني ، خذِ الخيرَ من أهله ، ودع الشرَّ لأهله ، وإذا قُمتَ الى صَلاتك فَصَلِّ صلاة مُوَدِّع ، وأنت تَرى أن لا تُصلّي بعدها أبداً .

•

وقال عليُّ بن الحُسين ، عليهما السلام ، لابنه : يا بُنيّ ، إن الله لم يَرْضَ لك فأوْصاك بي ، ورَضِيَني اك فَحَذّرَني منك ، واعلم أنّ خيرَ الآباء للأبناء مَن لم تَدعُه المودة الى التفريط فيه ، وخيرَ الأبناء للآباء من لم يَدعُه التقصيرُ الى العُقوق له .

وقال حكيم لابنه : يا بُنيّ ، إن أشدَّ الناس حسرةً يومَ القيامة رجل كَسَب مالاً من غير حِلّه فأدخله النارَ ، وأوْرَثه مَنْ عَمِل فيه بطاعة الله فأدخله الجنة .

•

عَمْرو بن عُتْبَة قال : لما بلغتُ خمسَ عشرةَ سنة قال لي أبي : يا بُنيّ ، قد تَقَطَّعَتْ عنك شرائع الصِّبا فالزَم الحياء تكن من أهله ، ولا تُزايِلْه فتَبِينَ منه ، ولا يَغُرَّنّك من اغترّ بالله فيك فمَدحك بما تعلم خلافَه من نفسك ، فإنه من قال فيك من الخير ما لم يعْلَم إذا رَضِي ، قال فيك من الشر مثلَه إذا سَخِط . فاستأنس بالوحْدة من جُلساء السَّوءِ تَسْلَم من غِبّ عواقبهم .

•

وقال عبد الملك بنُ مَرْوان لبَنيه : كُفّوا الأذى ، وابذُلوا المعروف ، واعْفوا إذا قَدَرْتم ، ولا تَبْخَلوا إذا سُئلتم ، ولا تُلْحِفوا إذا سألتم ، فإنه من ضَيّق ضُيّق عليه ، ومن أعطى أخْلَفَ الله عليه .

وقال الأشعثُ بن قيس لبنيه : يا بَنِيّ ، لا تَذِلُّوا في أعراضكم ، وانخدعوا في أموالكم ، ولتَخِفَّ بُطونُكم من أموال الناس ، وظُهوركم من دمائهم ، فإنّ لكلّ امرىء تَبِعة .

وإياكم وما يُعتَذر منه أو يُستحى ، فإنما يُعتذر من ذنب ، ويُستحى من عَيب ؛ وأَصْلِحوا المالَ لجفوة السُّلطان وتغيُّر الزمان ، وكُفُّوا عند الحاجة عن المسألة ، فإنه كَفى بالردّ مَنْعاً ، وأَجمِلُوا في الطلب حتى يوافق الرِّزْق قَدَراً ، وامنعوا النساءَ من غير الأكفاء ، فإنكم أهلُ بَيْت يتأسّى[1] بكم الكريمُ ، ويتشرّف بكم اللئيم ؛ وكونوا في عوامّ الناس ما لم يَضْطرب الحبْلُ ، فإذا اضطرب الحبلُ فالحَقوا بعشائركم .

وكتب عمرُ بن الخطاب إلى ابنه عبد الله في غَيْبة غابها : أمّا بعد ، فإنّ مَن اتقى الله وَقاه ، ومن اتكل عليه كفاه ، ومن شكَرَ له زاده ، ومن أقْرَضه جَزاه ؛ فاجعل التّقوى عِمارة قلبك وجَلاءَ بَصرك ، فإنه لا عمَل لمن لا نِيّة له ، ولا خيرَ لمن لا خَشْيَة له ، ولا جديد لمن لا خُلق له .

•

وكتب عليُّ بنُ أبي طالب إلى وَلده الحَسن ، عليهما السلام : من عليّ امير المؤمنين الوالدِ الفان ، المُقرّ للزّمان ، المُستَسْلم

---

١ يتأسى : يتشبه .

للحَدَثان ، المُدْبر العُمر ، المؤمّل ما لا يُدْرك ، السالك سبيل من قد هَلَك، غرَض الأسقام ، ورهينة الأيام ، وعبْد الدنيا ، وتاجر الغُرور، وأسير المنايا ، وقرين الرَّزايا ، وصريع الشهوات ، ونُصْب الآفات ، وخليفة الأموات .

أما بعد ، يا بُنيَّ ، فانّ فيما تفكَّرت فيه من إدبار الدُّنيا عني ، وإقبال الآخرة إليّ ، وجُموح الدهر علي[1] ، ما يُرَغِّبني عن ذكر سواي ، والاهتمام بما ورائي ، غيرَ أنه حين تفرّد بي همّ نفسي دون همّ الناس ، فصَدَقني رأيي وصرَفني عن هواي وصَرَّح بي محْضُ أمري ، فأفْضى بي إلى جِدٍّ لا يُزْري بـه لَعِب ، وصِدْقٍ لا يَشوبه كَذِب .

ووَجَدْتُك يا بُنيَّ بَعْضي ، بل وجدتُك كُلّي ، حتى كأن شيئاً لو أصابك لأصابني ، وحتى كأنّ الموت لو أتاك أتاني ، فعند ذلك عَناني من أمرِك ما عَناني من أمر نَفْسي .

كتبتُ إليك كتابي هذا يا بُنيَّ مُستظهراً به إن أنا بَقيت لك أو فَنيت ، فإني مُوصيك بتقوى الله وعِمارة قلبِك بذكره والاعتصام بحَبْله ، فإن الله تعالى يقول : « واعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَميعاً ولا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتمْ أَعداءً فألّفَ بينَ قُلوبِكُمْ فأصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْواناً . »

---

١ جموح الدهر : استعصاؤه .

وأيُّ سبب يا بُنيَّ أوثق من سببٍ بينك وبين الله تعالى إن أنت أخذت به ؟

أحي قلبك بالموعظة ، ونوِّره بالحكمة ، وأمِّنه بالزُّهْد ، وذلِّله بالموت ، وقوِّه بالغِنى عن الناس ، وحذِّرْه صولةَ الدَّهر ، وتقلُّبَ الأيام والليالي ، واعْرِض عليه أخبارَ الماضين وسِرْ في ديارهم وآثارهم فانظُر ما فعلوه وأين حلُّوا ، فإنك تَجِدهم قد انتقلوا عن دار الأحبّة ونزلوا دارَ الغُرْبة .

وكأنَّك عن قليل يا بُنيَّ قد صِرْت كأحدهم ، فَبِعْ دُنياك بآخرَتِك ، ولا تَبع آخرتك بدُنياك ، ودَع القولَ فيما لا تَعْرِف ، والأمرَ فيما لا تُكلَّف ، وأمُرْ بالمعروف بيَدِكَ ولسانك ، وانْهَ عن المُنْكر بيدك ولسانك ، وباينْ مَنْ فعَلَه ، وخُض الغَمَراتِ للحق ، ولا تأخُذْك في الله لومةُ لائم ، واحفظ وَصيَّتي ولا تَذْهَب عنك صَفْحاً ، فلا خير في عِلم لا ينفع .

واعلم أنَّ أمامك طريقاً ذا مسافة بعيدة ، ومشقة شديدة ، وأنه لا غِنى لك فيه عن حُسْن الارتياد[1] ، مَع بلاغك من الزَّاد . فإن أصَبتَ من أهل الفاقة مَنْ يحمل عنك زادك فيُوافيك به في مَعادك فاغتَنِمه ، فإن أمامك عَقَبَةً كؤوداً لا يجاوزها إلا

---

١ الارتياد : الطلب .

أخفُّ الناس حِمْلًا ، فأجْمِلْ في الطلب ، وأحْسِن المُكتَسب ، فرُبَّ طَلَب قد جرَّ إلى حَرَب[1] ، وإنما المحْرُوب من حُرِب دِينُه ، والمسلوبُ من سُلِب يقينه .

واعلم أنه لا غِنى يَعْدِلُ الجنَّة ، ولا فقْرَ يعْدِل النار . والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

•

وكَتب إلى ابنه محمد بن الحنفيّة : أنْ تَفقَّه في الدّين ، وعَوِّد نفسَك الصَّبرَ على المَكْروه ، وكِلْ نَفْسَك في أمورك كلِّها إلى الله عزَّ وجل ، فإنك تَكِلُها إلى كَهف . وأخْلِص المسألة لربِّك فإنّ بيده العَطاء والحِرْمان ، وأكثِر الاستخارة له .

واعلم أنّ من كانت مَطيّته الليلَ والنهار فإنه يُسار به وإن كان لا يَسير ، فإنّ الله تعالى قد أبى إلا خرابَ الدنيا وعمارةَ الآخرة . فإن قَدَرْتَ أن تَزْهد فيها زُهْدَك كلّه فافعل ذلك ، وإن كنتَ غير قابل نَصيحتي إيّاك فاعلَم عِلْماً يَقِيناً أنك لن تَبْلُغ أملك ، ولن تَعْدو أجلَك ، وأنك في سَبيل من كان قَبْلك .

فأكرم نفسَك عن كل دنيّة وإن ساقتك الى الرغائب ، فإنك لن تَعتاض بما تَبْذُل من نفسك عوضاً .

---

١ الحرب : سلب المال .

وإيّاك أن تُوجِف[1] بك مَطايا الطَّمع وتقول : متى ما أُخِّرت نزعتُ ، فإنّ هذا أهْلَكَ مَن هلك قَبْلك .

وأمْسِك عليك لسانك ، فإنّ تَلافِيكَ ما فرط من صَمْتك أيْسر عليك من إدراك ما فات من مَنْطقك ، واحفَظْ ما في الوِعاء بشَدّ الوِكاء ، فحُسن التّدبير مع الاقتصاد أبْقى لك من الكثير مع الفَساد ، والحُرْفة[2] مع العفّة خير من الغِنى مع الفُجور ، والمَرْء أحفظُ لسِرّه ، ولربما سَعى فيما يَضُره .

وإياك والاتّكالَ على الأماني ، فإنها بضائع النّوكى وتُنَبِّط عن الآخرة والأولى .

ومن خير حظّ الدنيا القَرين الصالح ، فقارِنْ أهلَ الخَير تَكُن منهم ، وباين أهلَ الشرّ تَبِنْ عنهم ، ولا يَغْلبنّ عليك سوء الظنّ ، فإنه لن يَدَع بينك وبين خليل صُلْحاً .

أَذكِ قلْبك بالأدب كما تُذكى النّارُ بالحَطَب ، واعلم أنّ كُفْر النّعمة لُؤْم ، وصُحْبة الأحمق شُؤْم ، ومن الكَرَم منْع الحُرَم ، ومَن حَلُم ساد ، ومن تَفَهّم ازداد .

امْحَض أخاك النصيحةَ ، حسنةً كانت أو قبيحةً . لا تَصْرم

---

١ توجف : تسرع .
٢ الحرفة : الضيق والاقلال .

أخاك على ارتياب ، ولا تقطعه دون استعتاب ، وليس جزاء من سرّك أن تسوءه .

الرّزق رِزْقان : رِزْق تطلبه ورزق يطلبك ، فإن لم تأته أتاك .

واعلم يا بُنيّ أن ما لك من دُنياك إلا ما أصلحت به من مَثواك ، فأنفق من خَيْرك ، ولا تكُن خازِناً لِغَيرك ، وإن جَزعْت على ما يُفلت من يديك فاجزَع على ما لم يَصِل إليك .

ربما أخطأ البصيرُ قَصْدَه ، وأبصر الأعمى رُشْدَه ، ولم يَهْلك امرؤ اقتصد ، ولم يَفْتَقر من زَهد .

من ائتمن الزمانَ خانه ، ومن تعظّم عليه أهانه .

رأسُ الدين اليقين ، وتمامُ الإخلاص اجتناب المَعاصي ، وخيرُ المَقال ما صَدّقته الفِعال .

سَلْ عن الرّفيق قبل الطريق ، وعن الجار قبل الدّار ، واحمل لِصَديقك عليك ، واقْبل عُذر من اعتذر إليك ، وأخِّر الشرّ ما استطعت ، فإنك إذا شِئْت تعجّلته .

لا يكن أخوك على قطيعتك أقوى منك على صِلَته ، وعلى الإساءة أقوى منك على الإحسان .

لا تُملّكنّ المرأة من الأمر ما يُجاوز نفسها ، فإن المرأة رَيْحانة ، وليست بقَهْرمانة ، فإنّ ذلك أدوم لحالها ، وأرخى لبالها .

واغضُض بصرَها بستْرك ، واكفُفها بحجابك .

وأكرم الذين بهم تَصُول ، وإذا تطاولتَ بهم تَطُول .

أسأل اللهَ أن يُلْهمك الشكر والرّشد ، ويُقَوّيك على العمل بكل خَيْر ، ويَصرف عنك كلّ مَحْذور برحمته ، والسلامُ عليك ورحمة الله وبركاته .

•

مقامات العباد عند الخلفاء

مقام صالح بن عبد الجليل

قام صالح بن عبد الجليل بين يدي المهديّ فقال له : إنه لما سَهُل علينا ما توعّر على غيرنا من الوصول إليك قُمْنا مَقام الأداء عنهم وعن رسول الله ، صلّى الله عليه وسلّم ، بإظْهار ما في أعناقنا من فَريضة الأمْر والنَّهْي عند انقطاع عُذْر الكِتْمان ، ولا سيّما حين اتّسمتَ بميسم التّواضع ، ووعدتَ الله وحَملة كتابه إيثارَ الحق على ما سواه ، فَجَمعنا وإياك مشهدٌ من مشاهد التمحيص .

وقد جاء في الأثرِ : مَن حَجَب الله عنه العِلْم عَذّبه على الجَهل ، وأشدُّ منه عذاباً من أقبل إليه العلمُ فأدبر عنه .

فاقبل يا أمير المؤمنين ما أُهْدِي اليك من ألسنتنا قَبولَ تحقيق وعمل ، لا قبول سُمعةٍ ورياء ، فإنما هو تَنْبيه من غَفْلة ، وتذكير من سَهْو ، وقد وطّن الله ،عزّ وجلّ ، نَبيّه ، عليه السلام ، على نُزولها ، فقال تعالى : « وإمّا يَنزغَنّك[1] من الشّيطان نَزْغ فاستَعذ بالله إنه هو السّميع العَليم . »

---

١ ينزغنك : يحثك على المعاصي .

مقام رجل من العباد

عند المنصور

بينما المنصورُ في الطّواف بالبَيْت ليلًا إذ سَمِع قائلًا يقول: اللهم إني أشكُو إليك ظُهور البَغْي والفساد في الأرض ، وما يحولُ بين الحقّ وأهله من الطّمع .

فخرج المنصورُ ، فَجَلس ناحية من المَسجد ، وأرسل إلى الرجل يدعوه . فصلى رَكْعتين واستَلم الركن وأقبل مع الرسول فسلّم عليه بالخلافة ، فقال المنصورُ : ما الذي سمعتُك تذكُر من ظُهور الفَساد والبَغْي في الأرض ؟ وما الذي يَحول بين الحقّ وأهله من الطّمع ؟ فوالله لقد حَشَوْتَ مسامعي ما أرْمَضني[1] .

فقال : إنْ أمَّنتني يا أمير المؤمنين أعلمتُك بالأمور من أُصولها ، وإلاّ احتجرتُ منك واقتصرتُ على نفسي فلي فيها شاغل .

قال : فأنتَ آمنٌ على نفسك فقُل .

---

١ أرمضني : أوجعني وآلمني .

فقال : يا أميرَ المؤمنين ، إنّ الذي دخله الطمعُ وحال بينه وبين ما ظَهر في الأرض من الفساد والبَغْي لأنت .

فقال : فكيف ذلك وَيْحك ! يَدْخلني الطّمع والصفراء والبَيضاء في قَبضتي والحلو والحامض عندي ؟

قال : وهل دَخل أحداً من الطمع ما دَخلك ؟ إنّ الله استَرْعاك أمرَ عِباده وأموالهم ، فأغفلت أمورهم ، واهتممت بجَمْع أموالهم ، وجعلتَ بينك وبينهم حجاباً من الجَصّ والآجُرّ ، وأبواباً من الحديد ، وحُرّاساً معهم السّلاح ، ثم سجنتَ نفسك عنهم فيها ، وبَعثتَ عُمّالك في جبايات الأموال وجَمْعها ، وقوّيتهم بالرجال والسلاح والكُراع[1] ، وأمرت أن لا يدخل عليك أحدٌ من الرجال إلا فلانٌ وفلانٌ نفراً سميتهم ، ولم تأمر بإيصال المَظلوم ولا الملهوف ولا الجائع العاري ولا الضّعيف الفقير إليك ، ولا أحدٌ إلا وله في هذا المال حقّ .

فلما رآك هؤلاء النفرُ الذين استَخْلصتهم لنفسك ، وآثرتهم على رعيّتك ، وأمرتَ أن لا يُحجَبوا دونك ، تَجْبي الأموالَ وتَجمعها ، قالوا : هذا قد خان الله فما لنا لا نَخُونه ؟ فائتمروا أنْ لا يصلَ إليك من عِلْم أخبار الناس شيءٌ إلا ما أرادوا ،

---

١ الكراع : الخيل .

ولا يخرُجَ لك عاملٌ فيُخالفَ أمرهم إلاّ خوّنوه عندك ونَفَوْه، حتى تسقطَ منزلتُه.

فلما انتشر ذلك عنك وعَنهم أعْظَمهم الناسُ وهابوهم وصانَعُوهم، فكان أولَ من صانَعهم عُمّالُك بالهدايا والأموال، ليَقْووا بها على ظُلم رعيّتك، ثم فعل ذلك ذوو المقْدرة والثّروة من رعيّتك، لينالوا ظُلْم مَن دونهم، فامتلأت بلادُ الله بالطّمع، ظُلْماً وبَغياً وفَساداً، وصار هؤلاء القومُ شركاءك في سُلْطانك وأنت غافل.

فإن جاء مُتظلّم حِيل بينك وبينه. فإن أراد رَفْع قِصّته إليك عند ظُهورك، وَجدك قد نَهَيْت عن ذلك، ووقفت للناس رجلًا يَنْظر في مَظالمهم، فإن جاء ذلك المتظلّم فبَلغ بطانَتك خبرُه، سألوا صاحبَ المظالم أن لا يَرْفع مَظلَمَته إليك، فإنّ المتظلّم منه له بهم حُرْمة، فأجابهم خوفاً منهم، فلا يَزال المظلومُ يَختلف إليه ويَلُوذ به، ويَشْكو ويَسْتغيث وهو يَدْفعه، فإذا أُجْهد وأُحْرج ثم ظَهرْتَ صرخ بين يديك، فيُضرب ضرباً مُبرّحاً يكون نَكالاً لغيره، وأنت تَنظر فما تُنْكِر، فما بَقاء الإسلام على هذا؟

وقد كنتُ يا أمير المؤمنين أُسافر الى الصّين، فقَدِمتها مرّةً وقد أُصيب ملكُها بسَمْعه، فبَكى بُكاءً شديداً، فحثّه

جُلساؤه على الصّبر ؛ فقال : أمَا إني لستُ أبكي للبليّة النازلة بي ، ولكنّي أبكي لمظلوم يصرُخ بالباب فلا أسمع صوتَه .

ثم قال : أمَا إذ قد ذهب سَمْعي فإنّ بَصري لم يَذْهب ، نادُوا في النّاس أن لا يَلْبس ثوباً أحمرَ إلا مُتظلّم .

ثم كان يركب الفيلَ طَرَفي النهار وينظُر هل يَرى مظلوماً . فهذا يا أمير المؤمنين مُشرك بالله ، بلغتْ رأفته بالمُشركين هذا المبلغ ، وأنت مُؤمن بالله من أهل بيت نبيّه لا تَغْلبك رأفتك بالمُسلمين على شُحّ نفسك .

فإن كنتَ إنما تَجمع المال لولدك ، فقد أراك الله عِبَراً في الطّفل يَسقط من بَطن أمه ما له على الأرض مال ، وما من مال إلا ودونه يدٌ شَحيحة تَحْويه ، فما يَزال الله يلطُف بذلك الطفل ، حتى تعْظُم رغبة الناس إليه .

ولستَ الذي تُعطي ، بل الله الذي يُعطي من يشاء ما يشاء .

فإن قلتَ إنما تَجْمَع المال لتَشُدّ به السلطان ، فقد أراك الله عِبَراً في بني أُميّة ، ما أغنى عنهم جمعُهم من الذّهب ، وما أَعدُّوا من الرّجال والسلاح والكُرَاع حين أراد الله بهم ما أراد .

وإن قلتَ إنما تجمع المالَ لطلب غايةٍ هي أجسم من الغاية التي أنت فيها ، فوالله ما فوق ما أنت فيه إلا منزلةٌ لا تُدْرَك إلا بخلاف ما أنتَ عليه .

يا اميرَ المؤمنين ، هل تُعاقِب مَن عَصاك بأشدّ من القتل ؟

فقال المنصور : لا .

فقال : فكيف تَصنع بالمَلِك الذي خَوّلك مُلْك الدنيا وهو لا يُعاقب مَن عَصاه بالقتل ، ولكن بالخُلود في العذاب الأليم ؟

قد رأى ما عُقِد عليه قلبُك ، وعَمِلته جوارحك ، ونَظر إليه بَصرك ، واجترَحَتْه يداك ، ومَشَت إليه رِجْلاك ، هل يُغْني عنك ما شَحِحْتَ عليه من مُلْك الدُّنيا إذا انتزعَه من يدك ودعاك إلى الحِساب ؟

قال : فَبكى المنصورُ ، ثم قال : ليتَني لم أُخْلق ، ويحك فكيف أحتال لِنفسي ؟

فقال : يا أمير المؤمنين ، إن للناس أعلاماً يَفزَعون إليهم في دينهم ، ويَرْضَوْن بهم في دُنياهم ، فاجعلهم بِطانَتك يرشدوك ، وشاوِرْهم في أَمْرِكَ يُسَدِّدوك .

قال : قد بعثتُ إليهم فهربوا مني .

قال : خافُوك أن تَحملهم على طريقَتِك ، ولكن افتَح بابَك ، وسهِّل حِجابك ، وانصُر المظلوم ، واقمع الظالم ، وخُذِ الفَيءَ والصدقات من حِلِّها ، واقسمها بالحقّ والعدْلِ على أهلها ، وأنا ضامن عنهم أن يأتوك ويُساعدوك على صلاح الأمة .

وجاءَ المؤذّنون فسلّموا عليه ، فصلّى وعاد الى مَجْلسه ، وطُلِب الرجُل فلم يوجد .

مقام الاوزاعي بين يدي المنصور

قال الأوزاعيّ : دخلتُ عليه فقال لي : ما الذي بَطّأ بك عني ؟

قلتُ : وما تُريد مني يا أمير المؤمنين ؟

قال : الاقتباس منك .

قلتُ : يا أمير المؤمنين ، انْظُر ما تقول ، فإنّ مَكحولاً حدّثني عن عطيّة بن بُسْر أن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، قال : مَنْ بَلغتْه عن الله نصيحةٌ في دِينه فهي رحمةٌ من الله سِيقت إليه ، فإن قَبِلها من الله بِشُكْر وإلاّ فهي حُجّة من الله عليه ، ليزداد إثماً ويزدادَ الله عليه غَضباً ؛ وإن بلغه شيء من الحق فرضي فله الرضا ، وإن سَخِطَ فله السُّخط ، ومَن كرهه فقد كره الله ، عزّ وجلّ ، لأن الله هو الحق المبين .

ثم قلتُ : يا أميرَ المؤمنين ، إنك تحمّلت أمانة هذه الأمة ، وقد عُرضت على السّمواتِ والأرض فأبَيْنَ أنْ يَحْمِلْنَها وَأشْفَقْنَ مِنْهَا . وقد جاء عن جَدّكَ عبد الله بن عبّاس في تفسير قول الله ، عزّ وجلّ : « لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إلاّ أَحْصَاهَا . » قال : الصّغيرة : التبسّم . والكبيرة :

الضحك. فما ظنُّك بالقَول والعمل ؟ فأعيذك بالله يا أميرَ المؤمنين أن ترى أنّ قَرابتك من رسول الله، صلّى الله عليه وسلم، تَنْفعك مع المُخالفة لأمره، فقد قال صلّى الله عليه وسلم : يا صَفِيّة عمة محمّد، ويا فاطمة بنت محمّد، استَوهِبا أنفسكما من الله فإني لا أُغْني عنكما من الله شيئاً .

وكذلك جَدُّك العبّاس سأل إمارةً من النبيّ، صلّى الله عليه وسلم، فقال : أيْ عمّ، نفسٌ تُحْييها، خيرٌ لك من إمارة لا تُحْصِيها. نظراً لعمه وشفقةً عليه من أن يَليَ فيَحِيدَ عن سُنّتِه جَناحَ بعوضة، فلا يستطيع له نَفْعاً، ولا عنه دفعاً.

وقال صلّى الله عليه وسلم : ما من راعٍ يَبيتُ غاشّاً لرعيّته إلا حَرّمَ الله عليه رائحة الجنّة. وحقيقٌ على الوالي أن يكونَ لرعيّته ناظراً، ولِما استطاع من عَوْراتهم ساتراً، وبالحق فيهم قائماً، فلا يتخوّف مُحْسنهم منه رَهَقاً، ولا مُسيئهم عُدْواناً .

فقد كانت بيد رسول الله، صلّى الله عليه وسلّم، جَريدةٌ يَستاك بها، ويَرْدَعُ المنافقين عنه، فأتاه جبريلُ، فقال : يا محمد، ما هذه الجريدة التي معك ؟ اتْرُكها لا تَملأ قلوبَهم رُعْباً. فما ظنّك بمن سَفك دِماءَهم، وقطّع أستارهم، ونهب أموالهم ؟

يا أمير المؤمنين ، إن المغفور له ما تقدّمَ من ذنبه وما تأخّر ، دعا الى القِصاص من نَفْسه بِخَدْشٍ خَدَشه أعرابيّاً لم يتعمّده ، فقال جبريلُ : يا محمد ، إنّ الله لم يَبْعثك جبّاراً تَكْسِر قُرون أُمّتك .

واعلم يا أميرَ المؤمنين أن كلّ ما في يدك لا يَعدِلُ شَرْبةً من شَراب الجنّة ، ولا ثمرةً من ثِمارها ، ولو أن ثوباً من ثِياب أهلِ النار عُلّق بين السماء والأرض لأهْلك الناسَ رائحتُه ، فكيف بمن تَقَمّصه ! ولو أن ذَنوباً[1] من صَديد أهل النار صُبّ على ماء الدُّنيا لأحَمّه[2] ، فكيف بمن تجرّعه ! ولو أن حَلْقة من سَلاسل جهنّم وُضعت على جَبل لأذابتْه ، فكيف بمن يُسْلَك فيها ، ويُردّ فَضْلُها على عاتقه !

•

---

١ الذنوب : الدلو .

٢ أحمه : سخنه .

كلام أبي حازم

لسليمان بن عبد الملك

حجّ سُليمان بن عبد الملك ، فلما قَدِمَ المدينةَ للزيارة بَعث الى أبي حازم الأعرج وعنده ابنُ شِهاب ، فلما دخل قال : تكلّم يا أبا حازم .

قال : فيمَ أتكلّم يا أمير المؤمنين ؟

قال : في المَخْرج من هذا الأمر .

قال : يَسيرٌ إن أنت فعلتَه .

قال : وما ذاك ؟

قال : لا تأخذ الأشياء إلاّ من حِلّها ، ولا تَضَعْها إلا في أهلها .

قال : ومن يقْوى على ذلك ؟

قال : مَن قلّدَه اللهُ من أمر الرعيّة ما قلّدك .

قال : عِظني يا أبا حازم .

قال : اعلم أن هذا الأمر لم يَصِرْ إليك إلا بمَوْت من كان قَبْلك ، وهو خارجٌ من يديك بمثل ما صار إليك .

قال : يا أبا حازم ، أَشِرْ عليَّ .

قال : إنما أنت سُوق فما نفق عندك حُمِل إليك من خير أو شرّ ، فاختَر أيَّهما شِئتَ .

قال : ما لك لا تأتينا ؟

قال : وما أَصنع بإتيانِك يا أمير المؤمنين ؟ إن أَدْنَيْتَني فتَنْتَني ، وإن أقصَيتني أَخْزَيْتني ، وليس عندك ما أرجوك له ، ولا عِنْدي ما أَخافُك عليه .

قال : فارفع إلينا حاجتَك .

قال : قد رفعتُها الى مَن هو أقدرُ منك عليها ، فما أعطاني منها قَبِلتُ ، وما مَنَعَني منها رَضِيتُ .

مقام ابن السماك

عند الرشيد

دَخل عليه ، فلما وقف بين يديه قال له : عِظْني يابن السمّاك وأَوْجز .

قال : كفى بالقُرآن واعظاً يا أميرَ المؤمنين ، قال الله تعالى : « بِسْمِ الله الرَّحْمن الرَّحيم . وَيْلٌ لِلمُطَفِّفِينَ[1] الَّذِين إذا اكْتالُوا على النَّاسِ يَسْتَوْفُون » الى قوله « لِرَبِّ العالمين » . هذا يا أمير المؤمنين وَعيدٌ لمن طَفَّف في الكَيْل فما ظَنُّك بمن أخذه كُلّه ؟

وقال له مرة : عِظْني وأْتِي بماء ليشرَبه ، فقال : يا أمير المؤمنين ، لو حُبِسَتْ عنك هذه الشَّرْبة أكنتَ تَفْديها بمُلكك ؟

قال : نعم .

قال : فلو حُبِس عنك خُروجها أكنت تَفْديها بمُلْكك ؟

قال : نعم .

---

١ المطففين ، من طفف المكيال : نقصه قليلاً .

قال : فما خيرٌ في مُلْكٍ لا يُساوي شَرْبة ولا بَوْلَة .

قال : يابن السماك ، ما أَحْسن ما بَلَغني عنك !

قال : يا أمير المؤمنين ، إنّ لي عيوباً لو اطّلع الناسُ منها على عيبٍ واحد ما ثبتتْ لي في قَلب أحد مودّة ، وإني لخائفٌ في الكلام الفِتْنة ، وفي السرّ الغِرّة ، وإني لخائفٌ على نَفْسي من قِلّة خَوْفي عليها .

كلام عمرو بن عبيد عند المنصور

دخل عمرو بن عُبيد على المَنصور وعنده ابنُه المهديّ ، فقال له أبو جعفر : هذا ابنُ أمير المؤمنين ، ووليُّ عهد المُسلمين ، ورَجائي أن تَدْعو له .

فقال : يا أمير المؤمنين ، أَراك قد رَضيتَ له أموراً يصير إليها وأنت عنه مَشْغول .

فاستَعْبر أبو جعفر ، وقال له : عِظْني أبا عثمان .

قال : يا أَمير المؤمنين ، إنّ الله أعطاك الدّنيا بأسرها ، فاشْتَرِ نفسَك منه ببَعْضها ، هذا الذي أَصبح في يديك لو بَقي في يدِ مَن كان قبلك لم يَصِلْ إليك .

قال : أبا عثمان ، أَعِنّي بأصحابك .

قال : ارفع عَلم الحق يَتبعْك أهلُه .

ثم خرج ، فأتْبعَه أبو جعفر بصُرّة ، فلم يَقْبلها وجعل يقول : كُلّكم يَمْشي رُوَيدْ ، كُلُّكم خاتِلُ صيد[1] ، غيرَ عمرو بنِ عُبيد

---

١ خاتل صيد : مخادع . يقال: خاتل الصياد ، اي مشى قليلًا قليلًا لئلا يحس الصيد به .

خبر سفيان الثوري

مع أبي جعفر

لَقِي أبو جعفر سُفْيان الثَّوريَّ في الطواف ، وسُفيان لا يَعرفه ، فَضرب بيده على عاتِقه وقال : أتعرفني ؟

قال : لا ، ولكنّك قَبضت عليّ قَبْضة جبّار .

قال : عِظْني أبا عبد الله .

قال : وما عملتَ فيما عَلِمتَ فأعِظَك فيما جَهِلْت ؟

قال : فما يَمْنعك أن تأتينا ؟

قال إن الله نهى عَنْكم ، فقال تعالى : « وَلا تَرْكَنُوا إلى الّذين ظَلَمُوا فَتَمَسَّكم النّار . »

فمسح أبو جعفر يدَه به ثم التفت إلى أصحابه ، فقال : ألقَينا الحَبَّ إلى العُلماء فَلَقطوا إلاّ ما كان من سُفيان فإنه أعْيانا فراراً .

•

كلام شبيب بن شيبة للمهدي

قال العُتْبي : سألتُ بعضَ آل شَبيب بن شَيْبة : أتَحْفظون شيئاً من كلامه ؟

قالوا : نعم ، قال للمهديّ : يا أميرَ المؤمنين ، إنّ الله إذ قَسَّم الأقسام في الدُّنيا جعل لك أسناها وأعلاها ، فلا تَرْضَ لنفسك في الآخرة إلاّ مثلَ ما رَضي لك به من الدنيا ، فأوصيك بتَقْوى الله ، فعَليكم نزَلت ، ومِنكم أُخذت ، وإليكم تُرَدّ .

•

من كره الموعظة

لبعض ما يكون فيها من الغلظ أو الخرق

قال رجل للرَّشيد : يا أمير المؤمنين ، إني أُريد أن أَعِظك بعِظةٍ فيها بعضُ الغِلْظة فاحتَمِلْها .

قال : كلاّ ، إنّ الله أمر مَن هو خيرٌ منك بإلانة القول لمن هو شَرّ مني ، قال لنبيّه موسى ، عليه السلام ، إذ أرسله إلى فرعون : « فقُولا له قَولاً ليِّناً لعلّه يَتَذَكّر أو يَخْشى . »

•

دخل أعرابيّ على سُليمان بن عبد الملك ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إني مُكلّمك بكلام فاحتَمِلْه إن كرهتَه ، فإن وراءه ما تُحب إن قبلتَه .

قال : هات يا أعرابيّ .

قال : إني سأطلق لساني بما خَرستْ عنه الألْسُن من عِظتك تأديةً لحق الله تعالى وحقّ إمامتك ، إنه قد اكتَنفك رجالٌ أساؤوا الاختيار لأنفسهم فابتاعوا دُنياك بدينهم ، ورضاك بسُخط ربهم ، خافُوك في الله ولم يخافوا الله فيك ، فهم حَرْب للآخرة ،

سلم للدنيا ، فلا تأمنهم على ما ائتمنك الله عليه ، فإنهم لا يألونك خبالاً ، والأمانة تضييعاً ، والأمةَ عسفاً وخسفاً ، وأنت مسؤول عما اجترحوا ، وليسوا مسؤولين عما اجترحتَ ، فلا تُصلح دُنياهم بفساد آخرتك ، فإن أخسر الناس صفقةً يوم القيامة وأعظمهم غبْناً مَن باع آخرتَه بدُنيا غيره .

قال سليمان : أما أنت يا أعرابيّ فقد سَلَلْتَ لسانك وهو أحدّ[1] سيفَيْك .

قال : أجلْ يا أمير المؤمنين ، لك لا عليك .

•

ووعظ رجلٌ المأمون فأصغى إليه مُنْصِتاً ، فلما فرغ قال : قد سمعتُ موعظتك ، فاسألِ اللهَ أن ينفعنا بها وبما علّمنا ، غيرَ أنّا أحوجُ إلى المُعاونة بالفعال منّا إلى المُعاونة بالمَقال ، فقد كَثُر القائلون ، وقَلّ الفاعلون .

•

العُتْبيُّ قال : دخل رجلٌ من عَبد القَيْس على أبي فوعظه ، فلما فرغ ، قال أبي له : لو اتّعظنا بما علّمنا لانتفعْنا بما عَمِلنا ، ولكنّا علّمنا علماً لزمتنا فيه الحُجّة ، وغفَلنا غفْلةَ مَن

---

١ احد : أقطع .

وَجبت عليه النِّقمة ، فَوُعظنا في أنفسنا بالتَّنقل من حال إلى حال ، ومن صِغَر إلى كِبَر ، ومن صِحَّة إلى سَقم ، فأبينا إلا المُقام على الغَفْلة ، وإيثاراً لعاجلٍ لا بقاءَ لأهله ، وإعراضاً عن آجل إليه المصير .

•

سعد القَصير قال : دَخل أُناسٌ من القُرَّاء على عُتْبة بن أبي سُفيان فقالوا : إنّك سَلَّطت السيفَ على الحقّ ولم تسلِّط الحقَّ على السَّيف ، وجئتَ بها عَشْوة[1] خَفيّة .

قال : كَذبْتُم ، بل سلّطت الحقّ وبه سُلِّطتُ ، فاعرفوا الحقَّ تَعْرفوا السيفَ ، فإنكم الحاملون له حيثُ وَضْعه أفضل ، والواضعون له حيثُ حَمْله أعْدل ، ونحن في أول زمان لم يأتِ آخرُه ، وآخرِ دَهْر قد فات أولُه ، فصار المَعْروف عندكم مُنْكَراً ، والمُنكَر معروفاً ، وإني أقول لكم مهْلًا قبلَ أن أقول لنفسي هلا .

قالوا : فَنَخْرج آمنين ؟

قال : غيرَ راشدين ولا مَهْديِّين .

•

---

١ العشوة : الأمر الملتبس .

حاد قومٌ سَفْرٌ عن الطريق فَدَفعوا الى راهب مُنفرد في صَومعتـه ، فنادَوه ، فأشرف عليهم ، فسألوه عن الطريق ، فقال : ها هنا ، وأومأ بيده الى السماء ، فعَلِموا مـا أراد ؛ فقالوا : إنا سائلوك .

قال : سَلُوا ولا تُكْثِروا ، فإن النهار لا يَرجع ، والعُمْرَ لا يعود ، والطالبَ حثيث .

قالوا : عَلامَ الناسُ يومَ القيامة ؟

قال : على نيّاتهم وأعمالهم .

قالوا : الى أين المَوئِل ؟

قال : الى ما قدّمتم .

قالوا : أوْصِنا . قال : تزَوّدوا على قَدْر سَفركم ، فَخَير الزاد ما بلّغ المحلّ .

ثم أرشدهم الجادّة وانقمع .

•

وقـال بعضُهم : أتيتُ الشامَ فمررتُ بدَيْر حَرْملة فإذا فيه راهبٌ كأنّ عَينيه مَزادتان[1] ، فقلت له : ما يُبْكيك ؟

قال : يا مُسلم ، أبْكي على ما فَرّطت فيه من عُمري ، وعلى يوم يَمْضي من أجَلي لم يَحْسُن فيه عَمَلي .

---

١ المزادة : جلود يضم بعضها الى بعض ويوضع فيها الماء .

قال : ثم مررتُ بعد ذلك فسألتُ عنه ، فقيل لي : إنه قد أسلم وغزا الرومَ وقُتل .

•

قال أبو زَيْد الحِيريّ : قلت لثوبانَ الراهب : ما مَعنى لُبْس الرّهبان هذا السواد ؟

قال : هو أشبهُ بلباس أهل المصائب .

قلت : وكلُّكم معشرَ الرُّهبان قد أُصيب بمُصيبة ؟

قال : يَرْحمك الله ، وهل مُصيبة أعظمُ من مَصائب الذُّنوب على أهلها ؟

قال أبو زيد : فما أذكُر قوله إلا أبكاني .

•

حبيبٌ العَدَويّ عن موسى الأسْواريّ قال قال : لما وقعت الفِتْنة أردتُ أن أُحْرِز ديني فخرجتُ الى الأهْواز ، فبلغ آزادمَرْد قُدومي ، فبعثَ إليّ متاعاً ، فلما أردتُ الانصراف بلغني أنه ثَقيل ، فدخلتُ عليه فإذا هو كالخُفّاش لم يَبقَ منه إلا رأسُه ، فقلت : ما حالُك ؟

قال : وما حال من يُريد سفراً بعيداً بغير زاد ، ويَدْخل قبراً مُوحِشاً بلا مؤنس ، ويَنْطلق الى مَلك عَدْل بلا حُجّة ؟

ثم خرجتْ نفسُه .

•

العُتبيّ قال : مررتُ براهب باكٍ فقلتُ : ما يُبكيك ؟
قال : أَمْرٌ عَرفتُه وقَصُرت عن طلبه ، ويومٌ مضى من عُمري نَقص له أجلي ولم يَنْقُص له أملي .

•

كلام الزهاد وأخبار العباد

قيل لقوم من العُبّاد : ما أقامكم في الشّمس ؟ قالوا : طَلَب الظّل .

•

قال علقمةُ لأسودَ بن يَزيد : كم تُعذّب هذا الجسدَ الضّعيف ؟

قال : لا تُنال الراحةُ إلا بالتّعب .

وقيل لآخر : لو رفقتَ بنفسك .

قال : الخيرُ كلُّه فيما أُكْرِهت النفوسُ عليه ، قال النبيُّ ، صلّى الله عليه وسلّم : حُفّت الجنّة بالمكاره .

•

وقيل لِمَسروق بن الأجْدع : لقد أضررتَ ببدنك .

قال : كرامتَه أُريد .

وقالت له امرأته فيروز لما رأته لا يُفْطِر من صيام ولا يَفتُر عن صلاة : ويلك يا مَسروق ! أما يَعبد اللهَ غيرُك ، أما خُلقت النارُ إلا لك ؟

قال لها : وَيْحك يا فيروز ! إن طالبَ الجنّة لا يَسأم ، وهاربَ النار لا ينام .

وشكت أم الدرداء الى أبي الدرداء الحاجة ، فقال لها : تصبّري فإنّ أمامنا عقبة كؤوداً لا يُجاوزها إلا أخفّ الناس حِملًا .

•

ومر أبو حازم بسُوق الفاكهة ، فقال : موعدك الجنّة .

ومرّ بالجزّارين ، فقالوا له : يا أبا حازم ، هذا لحم سَمين فاشتَرِ .

قال : ليس عندي ثمنُه .

قالوا : نؤخّرك .

قال : أنا أؤخر نفسي .

وكان رجل من العُبّاد يأكل الرُّمّان بقِشْره ، فقيل له : لِمَ تفعل هذا ؟

فقال : انما هو عدوّ فأثخِن فيه ما أمْكنك .

•

وكان عليّ بن الحُسين ، عليهما السلام ، إذا قام للصلاة أخذتْه رِعْدة ، فسُئِل عن ذلك ، فقال : وَيحكم ! أتَدْرُون إلى من أقُوم ومَن أُريد أن أُناجي ؟

وقال رجل ليُونس بن عُبيد : هل تعلم أحَداً يَعمل بِعَمل الحسن ؟

قال : لا والله ، ولا أحداً يقول بقَوله .

وقيل لمحمد بن عليّ بن الحُسين ، أو لعليّ بن الحُسين ، عليهم السلام : ما أقلّ وَلدَ أبيك !

قال : العجبُ كيف وُلِدْتُ له ! وكان يصلي في اليوم والليلة ألفَ ركعة ، فمتى كان يَتفَرَّغ للنساء ؟ وحَجّ خمساً وعشرين حِجَّة راجلًا .

•

ولما ضُرِبَ سعيدُ بن المُسَيَّب وأُقيم للناس قالت له امرأة : يا شَيْخ ، لقد أُقمت مُقام خِزْية .

فقال : من مُقام الخزية فررتُ .

وشكا الناسُ إلى مالك بن دينار القحطَ ؛ فقال : أنتم تستبطئون المَطر وأنا أستبطىء الحِجارة .

وشكا أهلُ الكوفة إلى الفُضيل بن عِيَاض القحطَ ؛ فقال : أمُدَبِّراً غيرَ الله تُريدون ؟

•

وذكر أبو حنيفة أيوبَ السَّخْتياني ، فقال : رحمه الله تعالى ، ثلاثاً ، لقد قَدِمَ المدينةَ مرّة وأنا بها ، فقلت : لأقعدنّ إليه لعلّي أتعلّق منه بسَقْطة ، فقام بين يدي القبر مَقاماً ما ذكرتُه إلا اقشعرّ له جلْدي .

وقيل لأهل مكة : كيف كان عَطاء بن أبي رَبَاح فيكم ؟

قالوا : كان مثلَ العافية التي لا يُعرف فضلُها حتى تُفْقد .

وكان عطاء أفْطَس أَشَل أعرج ثم عَمِي ، وأمه سَوداء تسمَّى بَرَكة .

وكان الأوقص المَخْزُوميّ قاضياً بمكة فما رُئي مثلُه في عَفافه وزُهْده ، فقال يوماً لِجُلسائه : قالت لي أُمي : يا بُني ، إنك خُلِقْت خِلْقة لا تصلح معها لِمَجَامع الفِتْيان عند القِيان ، إنك لا تكون مع أحدٍ إلا تَخَطَّتْك إليه العيون ، فعليك بالدِّين فإنّ الله يَرْفَع به الخَسِيسة ، ويُتمُّ به النَّقيصة . فنفعني الله تعالى بكلامها ، وأطعتُها فَوليتُ القضاء .

•

الفُضَيل بن عِياض قال : اجتمع محمد بن واسع ومالكُ بن دينار في مجلس بالبصرة ، فقال مالكُ بن دينار : ما هو إلا طاعة الله أو النار .

فقال محمد بن واسع : ما هو كما تقول ، ليس إلا عَفْو الله أو النار .

قال مالك : صدقتَ . ثم قال مالك : إنه يُعجبني أن يكون للرجل مَعِيشة على قدر ما يَقُوته .

قال محمد بن واسع : ولا هو كما تقول ، ولكن يُعْجبني أن يُصبح الرجل وليس له غَدَاء ، ويُمسي وليس له عَشَاء ، وهو مع ذلك راضٍ عن الله .

قال مالك : ما أحْوَجني إلى أن يُعَلِّمني مثلك .

•

جعفر بن سُليمان قال : سمعتُ عبد الرحمن بن مَهديّ يقول : ما رأيتُ أحداً أفْشَف من شُعبَة ، ولا أعبدَ من سُفيان الثوريّ ، ولا أحفظَ من ابن المُبارك ، وما أُحِبُّ أن ألقَى الله بصحيفة أحد إلا بصحيفة بِشْر بنِ مَنصور ، مات ولم يَدَع قليلًا ولا كثيراً .

عبد الأعلى بن حمّاد قال : دخلت على بِشْر بن مَنصور وهو في الموت ، فإذا به من السُّرور في أمر عظيم ، فقلتُ له : ما هذا السّرور ؟

قال : سُبحان الله ! أخرُج من بين الظالمين والباغين والحاسدين والمُغْتابين وأقْدَم على أرحم الراحمين ولا أُسَرّ ؟

•

حَجّ هارون الرّشيد ، فَبلغه عن عابدٍ بمكة مُجاب الدّعوة مُعْتَزِل في جِبَال تِهامة ، فأتاه هارون الرشيدُ فسأله عن حاله ، ثم قال له : أوْصِني ومُرْني بما شِئْت ، فوالله لا عَصَيتك .

فسكت عنه ولم يَرُدّ عليه جواباً . فخرج عنه هارون ، فقال له أصحابُه : ما مَنعك إذ سألك أن تأمرَه بما شِئْتَ ،

وقد حلَف أن لا يَعْصيك ، أن تأمرَه بتقوى الله والإحسان إلى رعيّته ؟

فَخَطّ لهم في الرّمل : إني أعظمتُ الله أن يكونَ يأمره فيَعْصِيه وآمرُه أنا فيطيعني .

•

عليّ بن حمزة ابن أخت سُفيان الثوري قال : لما مَرِض سُفيان مَرَضه الذي مات فيه ذهبتُ ببَوْله إلى دَيْراني ، فأريته إياه ، فقال : ما هذا ببول حَنيفي .

قلت : بلى والله ، من خِيارهم .

قال : فأنا أذهب معك إليه .

قال : فدخل عليه وجَسّ عِرْقه ، فقال : هذا رجُلٌ قطَع الحُزنُ كَبِدَه .

•

الأصمعي عن ابن عَوْن قال : رأيت ثلاثة لم أرَ مثلَهم : محمدَ بن سيرين بالعراق ، والقاسم بن محمد بالحجاز ، ورجاءَ بن حَيْوة بالشام .

العُتْبيّ قال : سمعت أشياخنا يقولون : انتهى الزُّهد الى ثمانية من التابعين : عامر بن عبد القيس ، والحسن بن أبي الحسن البصْريّ ، وهَرِم بن حيّان ، وأبي مُسْلِم الخَوْلاني ، وأُوَيْس القُرَني ، والرّبيع بن خُثَيم ، ومَسْرُوق بن الأجدع ، والأسوَد ابن يزيد .

كيف يكون الزهد

العُتبيّ يرفعه قال : قيل لرسول الله ، صلّى الله عليه وسلّم : ما الزُّهد في الدنيا ؟

قال : أما إنه ما هو بتَحريم الحَلال ، ولا إضاعة المال ، ولكنّ الزهدَ في الدنيا أن تكون بما في يد الله أغنى منك عما في يدك .

وقيل للزُّهريّ : ما الزُّهد ؟

قال : أما إنه ليس تَشْعِيثَ اللِّمَّة ، ولا قَشْفَ الهيْئَة ، ولكنّه صرْف النفس عن الشَّهْوَة .

وقيل لآخر : ما الزُّهد في الدنيا ؟

قال : أن لا يَغْلب الحرامُ صَبْرَك ، ولا الحلالُ شُكرَك .

•

وقيل لرسول الله ،صلى الله عليه وسلّم: يا رسول الله ، مَنْ أزهدُ الناس في الدنيا ؟

قال : مَن لم يَنْس المَقابر والبِلى، وآثرَ ما يَبْقى على ما يَفْنى ، وعَدّ نفسه مع الموتى .

وقيل لمحمد بن واسع : مَن أزهَدُ الناس في الدُّنيا ؟
قال : مَنْ لا يبالي بِيَد مَن كانت الدنيا .
وقيل للخليل بن أحمد : مَن أزهدُ الناس في الدُّنيا ؟
قال : من لم يَطلب المَفْقود حتى يَفْقد المَوجود .

•

وقال النبي ، صلّى الله عليه وسلّم : الزُّهد في الدُّنيا مِفتاح الرَّغبة في الآخرة ، والرَّغبة في الدُّنيا مِفتاح الزُّهد في الآخرة .
وقالوا : مَثَلُ الدنيا والآخرة كمَثَل رجل له امرأتان ضَرَّتان ، إن أرْضى إحداهما أسْخط الأخرى .

وقال النّبي ، صلّى الله عليه وسلّم : مَن جعل الدنيا أكبرَ همّه نزَع الله خوفَ الآخرة من قلبه ، وجعلَ الفَقْر بين عَيْنَيه ، وشَغله فيما عليه لا له .

•

وقال ابنُ السمّاك : الزاهدُ الذي إن أصاب الدنيا لم يَفرح ، وإن أصابتْه الدنيا لم يحزن ، يضحك في المَلا ، ويَبْكي في الخَلا . وقال الفُضيل : أصلُ الزهد في الدنيا الرِّضا عن الله تعالى .

•

صفة الدنيا

قال رجُل لعليّ بن أبي طالب، كرَّم الله وَجْهَه : يا أميرَ المؤمنين ، صِفْ لنا الدّنيا .

قال : ما أصِف مِن دارٍ أولُها عَناء ، وآخرُها فَناء ؛ حَلالُها حساب ، وحَرامها عِقاب ؛ مَن استغنى فيها فُتِن ، ومن افتقر فيها حَزِن .

قيل لأرسطاطاليس : صِف لنا الدنيا .

فقال : ما أصِف من دار أولها فَوْت ، وآخرها مَوْت .

وقيل لحكيم : صف لنا الدنيا .

قال : أمَلٌ بين يديك ، وأجَل مُطِلٌّ عليك ، وشَيْطان فتّان ، وأمانيُّ جرّارة العِنان ؛ تدعوك فتَستجيب ، وترجُوها فتَخيب .

وقيل لعامر بن عبد القيس : صف لنا الدنيا .

قال : الدنيا والدةٌ للموت ، ناقضة للمُبْرَم ، مُرتجعة للعطية ، وكلُّ مَن فيها يجري الى ما لا يَدْري .

وقيل لبَكر بن عبد الله المُزنيّ : صِف لنا الدنيا .

فقال : ما مَضى منها فحُلْم ، وما بَقي فأمانيّ .

وقيل لعبد الله بن ثَعلبة : صِف لنا الدنيا .

قال : أَمْسُك مَذموم منك ، ويومُك غير محمود لك ، وغَدك غير مأمون عليك .

وقال النبي ، صلّى الله عليه وسلّم : الدنيا سِجن المُؤمن وجنّة الكافر .

وقال : الدنيا عَرَضٌ حاضِر ، يأكُل منه البَرُّ والفاجر ، والآخرة وعد صِدْق يحكم فيها ملك قادر ، يفصل الحقّ من الباطل .

وقال : الدنيا خَضِرَة حُلْوَة ، فمن أخذها بحقّها بُورك له فيها ، ومَن أخذها بغير حقّها كان كالآكِل الذي لا يَشْبع .

وقال ابنُ مَسعود : ليس من الناس أحدٌ إلا وهو ضَيْف على الدنيا وماله عارية ، فالضَّيْف مُرتحِل ، والعارية مردودة .

وقال المسيح ، عليه السلام : الدنيا لإبليس مزْرَعة وأَهْلُها حُرّاث .

وقال إبليسُ : ما أُبالي إذا أَحَبَّ الناس الدنيا أن لا يَعْبدوا صَنماً ولا وَثَناً ، الدنيا أفتنُ لهم من ذلك .

وكان النبيّ ، صلى الله عليه وسلم ، يُسمّي الدنيا أمّ ذَفَر . والذفر : النتن .

وقال النبي ، صلى الله عليه وسلم ، للضحّاك بن سُفيان : ما طعامُك ؟

قال : اللحم واللبن .

قال : ثم إلى ماذا يَصير ؟

قال : يصير إلى ما قد علمت .

قال : فإنّ الله ، عزّ وجلّ ، ضَرَب ما يخرج من ابن آدم مثلًا للدنيا .

وقال المسيحُ ، عليه السلام ، لأصحابه : اتخذوا الدنيا قَنطرة فاعبروها ولا تَعْمُروها .

وفي بعض الكتب : أوحى الله إلى الدنيا : مَن خَدَمني فاخدُميه ، ومن خدمك فاستخدميه .

وقيل لنُوح ، عليه السلام : يا أبا البَشر ويا طَويل العُمر ، كيف وجدتَ الدنيا ؟

قال : كَبَيْتٍ له بابان ، دخلتُ من أحدهما وخرجتُ من الآخر .

وقال لُقمان لابنه : إنّ الدنيا بَحْر عريض ، قد هلك فيه الأوّلون والآخِرون ، فإن استطعت فاجعل سَفِينتك تقوى الله ، وعُدّتك التوكل على الله ، وزادك العمل الصالح ، فإن نجوتَ فبرحمة الله ، وإن هلكت فبذنوبك .

وقال محمد بن الحنفيّة : من كرُمت عليه نفسُه هانت عليه الدنيا .

وقال : إنّ المُلوك خَلَّوْا لكم الحِكمة فخَلُّوا لهم الدنيا .

وقيل لمحمد بن واسع : إنك لترضى بالدُّون .

قال : إنما رَضي بالدُّون من رضي بالدنيا .

وقال المسيحُ ، عليه الصلاة والسلام ، للحواريّين : أنا الذي كفأتُ الدنيا على وَجهها ، فليس لي زوجةٌ تموت ولا بَيْت يخرَب .

شكا رجل إلى يُونس بن عُبيد وَجعاً يَجِده ، فقال له : يا عبد الله ، هذه دارٌ لا تُوافقك ، فالتمس لك داراً تُوافقك .

لقي رجلٌ راهِباً ، فقال : يا راهب ، صِف لنا الدنيا .

فقال : الدنيا تُخْلِق الأبدان ، وتُجَدِّد الآمال ، وتُباعد الأمْنِيّة ، وتُقَرِّب المنيَّة .

قال : فما حالُ أهلها ؟

قال : مَنْ ظَفِرَ بها تَعِب ، ومن فاتتْه نَصِب .

قال : فما الغِنى عنها ؟ قال : قَطْعُ الرَّجاءِ منها .

قال : فأين المَخْرَج ؟

قال : في سُلوك المَنْهَج .

قال : وما ذاك ؟

قال : بَذْل المجهود ، والرِّضا بالمَوجود .

قال الشاعر :

ما الناسُ إلا مع الدنيا وصاحبِها ،
فحيثما انقلبت يوماً بـــه انقلَبوا

يُعظِّمون أخا الدنيا ، وإن وَثَبت ،
يوماً عليه بمـــا لا يَشْتَهي ، وَثبوا

•

وقال آخر :

يا خاطبَ الدنيا إلى نفسه ، تَنَحَّ عن خِطْبَتها تَسْلَمِ
إنَّ التي تَخْطُبُ غَرَّارَةٌ ، قريبةُ العُرْس من المَأتَمِ

•

داود بن المُحَبَّر قال : أخبرنا عبدُ الواحد بن الخطاب قال : أقبلنا قافلين من بلاد الرُّوم ، حتى إذا كُنّا بين الرُّصافة وحِمْص سمعنا صوتاً من تلك الجبال ، تَسمعه آذاننا ولا تُبصره أبصارنا ، يقول : يا مَسْتُور يا مَحْفوظ ، انظر في سِتْر مَن وحِفْظ مَن أنت ، إنما الدنيا شَوك ، فانظر أين تَضع قَدَميك منها .

•

وقال أبو العتاهية :

رَضِيتُ بذي الدنيا كَكُلِّ مُكاثِر ،
مُلِحٍّ على الدنيا ، وكلِّ مُفاخِر

أَلم تَرَهَا تَسقيه ، حتى إذا صَبا ،
فَرَت حَلْقَه منها بِشَفْرة جازر؟[1]

ولا تَعْدِلُ الدنيا جَناحَ بَعُوضة ،
لدى الله ، أو مقدارَ نَغْبَةِ طائر[2]

فلم يَرْضَ بالدنيا ثواباً لمُؤمن ؛
ولم يَرضَ بالدنيا عِقاباً لكافر

•

وقال أيضاً :

هِي الدنيا ، إذا كَمُلتْ ، وتَمَّ سُرورُها خَذَلتْ
وتَفعل في الذين بَقُوا ، كما فيمن مَضى فَعلت

•

وقال بعض الشعراء يصِف الدنيا :

لقد غرّتِ الدنيا رجالاً ، فأصبحوا
بمنزلةٍ ما بعدها مُتَحَوَّلُ

فساخِطُ أمرٍ لا يُبَدَّل غيرَه ؛
وراضٍ بأمرٍ غيرَه سَيُبَدَّل

---

١ صبا : اخذته جهلة الفتوة . فرت : شقت . الجازر : الناحر .
٢ النغبة : الحسوة يحسوها الطائر من الماء .

وبالغُ أمرٍ كان يأمُل دونه؛
ومُخترَمٌ من دون ما كان يأمُل[1]

•

وقال هارون الرشيد : لو قيل للدنيا صِفي لنا نفسك ، وكانت ممن يَنْطق ، ما وَصفت نَفْسَها بأكثر من قول أبي نُواس :

إذا امتحن الدنيا لبيبٌ ، تكشَّفت
له عن عدوٍّ ، في ثِياب صَديقِ

وما الناسُ إلا هالكٌ وابنُ هالكٍ ،
وذو نَسَبٍ ، في الهالكين ، عَريقِ

•

وقال آخر في صفة الدنيا :

فَرُحْنا ، وراح الشَّامِتون عَشِيَّةً ،
كأنَّ عَلى أكتافنا فِلَقَ الصَّخْرِ

لحا الله دُنيا يَدْخل النارَ أهْلُها ،
وَتَهْتِك ما بين الأقارب من سِتْرِ

•

ولأبي العتاهية :

كُلُّنا يُكْثِرُ الملامةَ للدُّنْـ يا ، وكلٌّ بحُبِّها مَفْتُونُ

---

١ المخترم : الهالك .

والمقاديرُ لا تناوَلُهـا الأوْ هام، لُطفاً، ولا تراها العُيون
ولِرَكبِ الفناء في كلِّ يومٍ، حَرَكاتٌ كأنَّهنَّ سُكـون

•

ومن قولنا في وصف الدنيا :

ألا إنمـا الدُّنيا نضارة أَيْكة،
إذا اخْضَرَّ منها جانبٌ جَفَّ جانبُ

هِيَ الدَّار، ما الآمالُ إلا فَجائعٌ
عليها، ولا اللَّذات إلا مَصائب

فكم سَخُنَت بالأمس عينٌ قَريرَةٌ؛
وقَرَّت عُيونٌ دمعُها اليومَ ساكِب

فلا تَكتَحِل عَيْناك فيها بعَبْرَة،
على ذاهبٍ منها، فإنـك ذاهب

•

وقال أبو العتاهية :

أَصْبَحت الدُّنيا لنا فتنةً؛ والحمـد لله على ذَلِكَا
قد أَجْمَعَ الناسُ على ذَمِّها، ولا أرى منهمْ لها تارِكا

•

وقال إبراهيم بن أدهم :

نُرَقِّع دُنيانا بتَمزيقِ دِيننـــا ،
فـلا دينُنا يَبقى ، ولا مـا نُرقِّع

•

وما سمعتُ في صفة الدُّنيا والسبب الذي يُحبُّها الناسُ لأجله بأبلغ من قول القائل :

نُراع بذكْر المَوت في حينِ ذِكْره ،
وتَعْترض الدنيا ، فَنَلْهُو ونَلْعبُ

ونحن بنُو الدُّنيا خُلقْنـا لغيرها ،
وما كُنتَ منـه ، فهو شيءٌ محبَّب

فذكر أنّ الناس بنو الدنيا وما كان الانسان منه فهو محبَّب إليه .

واعلم أنّ الانسانَ لا يُحب شيئاً إلا أن يُجانسَه في بعض طبائعه ، وأنّ الدنيا جانَسَت الانسان في طَبائعه كلها فأحبَّها بكل أطرافه .

•

وقال بعضُ ولد ابن شُبْرمة : كنتُ مع أبي جالساً قبل أن يَلي القضاءَ ، فمرَّ به طارقُ بن أبي زِياد في مَوكب نَبِيل ، فلما رآه أبي تَنفَّس الصُّعَداء وقال :

أراها ، وإنْ كانت تُحَبُّ ، كأنها
سحابةُ صَيْفٍ ، عن قَليل ، تَقَشَّعُ

ثم قال : اللهم لي ديني ولهم دُنياهم .

فلما ابتُلي بالقَضاء ، قلتُ : يا أبتِ ، أتذكر يومَ طارق ؟

فقال : يا بُني ، إنهم يَجدون خَلَفاً من أبيك وإنّ أباك لا يَجد خَلَفاً منهم ، إن أباك خَطَب في أهوائهم ، وأكل من حَلْوائهم .

•

وقال الشَّعبي : ما رأيتُ مَثَلَنا ومَثَلَ الدنيا إلا كما قال كُثَيِّر عَزَّة :

أَسِيئي بنا ، أو أَحْسني ، لا مَلُومةً
لَدَينا ، ولا مَقْليّةً إن تَقلَّتِ[1]

•

وأحكمُ بيتٍ قِيل في تَمْثيل الدنيا قولُ الشاعر :

ومَن يأمَن الدنيا يكن مثلَ قابضٍ
على الماء ، خانَتْه فُروجُ الأصابعِ

•

---

١ تقلت : تبغضت . وفيه النفات من الخطاب الى الغيبة .

وحدّث العبّاس بن الفَرَج الرّياشي قال : رأيتُ الأصمعيّ ينشد هذا البيتَ ويَستحسنه في صفة الدنيا :

ما عُذْرُ مُرْضِعَةٍ ، بكا سِ الموت ، تَفْطِمُ مَنْ غَذَتْ

•

ولقَطريّ بن الفُجاءَة في وَصف الدُّنيا خُطْبَةٌ مجرَّدة تَقَع في جملة الخُطَب في كتاب الواسطة .

•

قولهم في الخوف

سُئل ابنُ عبّاس عن الخائفين لله ، فقال : هم الذين صَدَقُوا الله في مخافة وَعيده ، فقلوبهم بالخَوْف قَريحة ، وأعينُهم على أنفسهم باكية ، ودموعهم على خُدودهم جارية ؛ يقولون : كيف نَفْرح والموتُ من ورائنا ، والقُبورُ من أمامنا ، والقِيامة مَوعدنا ، وعلى جهنم طريقُنا ، وبين يدَي ربّنا مَوقفنا ؟

•

وقال عليّ ، كَرَّم الله وَجْهَه : ألا إنّ لله عباداً مُخْلصين ، كمن رَأى أهلَ الجنّة في الجنّة فاكهين ، وأَهْلَ النار في النار مُعذَّبين ، شرورهم مأمونة ، وقلوبهم مَحْزونة ، وأنفسُهم عفيفة ، وحوائجهم خَفيفة ، صَبَرُوا أيّاماً قليلة ، لِعُقْبَى راحة طويلة ؛ أمّا بالليل فَصَفُّوا أقدامَهم في صَلاتهم ، تَجْري دُموعُهم على خُدُودهم ، يَجأرون إلى ربّهم : ربّنا ربّنا ، يَطلبون فَكاك قُلوبهم ؛ وأمّا بالنهار فعُلماء حُلماء ، بَررة أَتْقياء ، كأنهم القِداح — القِداح : السهام ، يريد في ضُمرتها — يَنْظر إليهم الناظرُ فيقول : مَرْضَى ، وما بالقوم من مَرض ، ويقول : خُولطوا ، ولقد خالط القومَ أمرٌ عظيم .

•

وقال منصور بن عَمّار في مجلس الزهد : إن لله عباداً جعلوا ما كُتب عليهم من الموتِ مثالاً بين أعينهم ، وقَطَعوا الأسباب المُتّصلة بقُلوبهم من علائق الدنيا ، فهم أنضاءُ عبادته ، حُلفاء طاعته ، قد نَضَحوا خُدودهم بوابل دُموعهم ، وافترشوا جِباههم في محاريبهم ، يُناجون ذا الكِبْرياء والعَظمة في فَكاكِ رِقابهم .

•

ودَخل قوم على عُمر بن عبد العزيز يَعودونه في مَرضه ، وفيهم شابٌّ ذابلٌ ناحِل . فقال له عُمر : يا فتى ، ما بلغ بك ما أرى ؟

قال : يا أميرَ المؤمنين ، أمراضٌ وأسقام .

قال له عمر : لَتَصدُقَنّي .

قال : بلى يا أمير المؤمنين ، ذُقت يوماً حلاوةَ الدنيا فوجدتُها مُرَّةً عواقبُها ، فاستوى عندي حَجَرُها وذهَبها ، وكأنّي أنظر الى عَرْش ربّنا بارزاً ، وإلى الناس يُساقُون الى الجنة والنار ، فأظمأتُ نَهاري ، وأسْهرتُ ليلي ، وقليلٌ كلُّ ما أنا فيه في جَنْبِ ثواب الله وخوف عقابه .

•

وقال ابن أبي الحَواريّ : قلتُ لسُفيان : بلغني في قول الله ، تبارك وتعالى : « إلاّ مَنْ أتى اللهَ بِقَلْبٍ سَلِيم » الذي يَلْقى ربَّه وليس فيه أحدٌ غيره .

فبكى وقال : ما سمعتُ منذ ثلاثين سنةً أحسنَ من هذا التفسير .

وقال الحسنُ : إنّ خوفك حتى تلقى الأمنَ خيرٌ من أمنك حتى تلقى الخوف .

وقال : ينبغي أن يكون الخوفُ أغلبَ على الرجاء ، فإنّ الرجاء إذا غلَبَ الخوفَ فسَد القلبُ .

وقال : عجباً لمن خافَ العقابَ ولم يَكُفّ ، ولمن رَجا الثوابَ ولم يَعْمل .

•

وقال عليُّ بن أبي طالب ، كرَّمَ الله وجهَه ، لرجل : ما تَصْنع ؟ فقال : أرجُو وأخاف ؛ قال : مَن رجا شيئاً طلبه ، ومن خاف شيئاً هرب منه .

وقال الفُضَيْل بن عياض : إني لأسْتَحي من الله أن أقول : تَوَكَّلتُ على الله ، ولو توكلت عليه حقَّ التوكل ما خِفْتُ ولا رَجَوْتُ غيره .

وقال : من خاف الله أخاف الله منه كلَّ شيء ، ومن لم يَخف الله أخافَه الله من كل شيء .

وقال : وعْدٌ من الله لمن خافَهُ أن يُدْخِله الله الجنةَ ؛ وتلا قولَه عزّ وجلّ : « ولِمَنْ خافَ مَقام رَبِّه جَنّتان . »

•

وقال عمر بن ذرّ : عبادَ الله ، لا تَغْتَرُّوا بطول حِلْمِ الله ، واحذروا أَسَفَه ، فإنه قال ، عزّ وجلّ : « فلمّا آسفُونا انتَقَمْنا مِنْهُم فأغْرَقْناهم أَجْمَعين . فجعلناهم سَلَفاً ومَثَلًا للآخِرين . »

وقال محمد بن سَلاّم : سمعتُ يونس بن حَبيب يقول : لا تأمن مَن قطَع في خَمْسة دراهم أشرَفَ عُضو فيك أن تكون عُقُوبته في الآخرة أضعافَ ذلك .

وقال الربيعُ بن خُثَيم : لو أنّ لي نَفْسَين إذا غَلِقَتْ إحداهما سَعَت الأخرى في فَكاكِها ، ولكنها نفس واحدة ، فإن أنا أوثقتُها مَن يَفُكّها ؟

وفي الحديث : مَن كانت الدنيا هَمَّه طال في الآخرة غَمُّه ، ومن أُخْلِف الوعيدَ لها عما يُريد ، ومن خاف ما بين يَدَيه ضاق ذَرْعاً بما في يديه .

•

وقال محمود الورّاق :

يا غافلًا تَرنُو بِعَيْنَي راقِدٍ ،
ومُشاهِداً للأمر غيرَ مُشاهِدِ

تَصِلُ الذُّنوب الى الذُّنوب ، وتَرتَجي
دَرَكَ الجِنان بها ، وفَوْزَ العابِدِ

ونَسِيتَ أنّ اللهَ أخْرَجَ آدمـــاً
منها ، إلى الدُّنيا ، بذنْبٍ واحـد

•

وقال نابغة بني شَيْبان :

إنّ مَنْ يَرْكَبُ الفواحشَ سرّاً ،
حين يَخْلو بسرِّه ، غـــيرُ خالِي

كيف يَخْلو ، وعنـده كاتباه ،
شاهـــداه ، وربُّه ذو الجَلال ؟

•

قولهم في الرجاء

قال العلماء : لا تشهد على أحد من أهل القِبْلة بجنّة ولا بنار ، يُرْجى للمُحْسن ويُخاف عليه ، ويُخاف على المُسيء ويُرْجى له .

وفي الحديث المرفوع : إنّ الله يَغْفر ولا يُعيِّر ، والناسُ يُعيِّرون ولا يَغْفرون .

وفي حديث آخر : لا تُكَفِّروا أهل الذنوب .

•

وتُوفّي رجلٌ في عهد رسول الله ، صلّى الله عليه وسلّم ، وكان مُسرفاً على نفسه ، فرفع برأسه وهو يجود بنَفْسِه ، فإذا أبواه يَبْكِيان عند رأسه ، فقال : ما يُبْكِيكما ؟

قالا : نَبْكي لإسرافك على نفسك .

قال : لا تَبْكيا ، فوالله ما يَسُرُّني أنّ الذي بيد الله من أمري بأيديكما .

ثم مات . فأتى جبريلُ ، عليه الصلاة والسلام ، النبيَّ ، صلّى الله عليه وسلّم ، فأخبره أنّ فتًى تُوفّي اليومَ فأشْهَده بأنه من أهل الجنة .

فسأل رسولُ الله ، صلّى الله عليه وسلّم ، أبويه عن عَمله ، فقالا : ما عَلِمنا عنده شيئاً من خير إلا أنه قال لنا عند الموت كذا وكذا .

فقال رسولُ الله ، صلّى الله عليه وسلّم : من هاهنا أُوتي ، إنّ حُسن الظنّ بالله من أفضل العَمل عنده .

وتُوفّي رجل بجوار ابن ذرّ وكان مُسرِفاً على نفسه ، فتحامى الناسُ من جِنازته ، وبلغ ذلك عُمَرَ بن ذرّ ، فأوصى أهلَه : إذا جهّزتموه فآذِنُوني ؛ ففعلوا ، فشَهِدَه والناسُ معه ، فلما أُدْلِيَ وقَف على قبره فقال : رَحمك الله أبا فُلان ، فلقد صَحِبتَ عُمْرَك بالتّوحيد ، وعَفّرْت وَجهك لله بالسُّجود ، فإنْ قالوا مُذنِب وذو خَطايا ، فمن مِنّا غيرُ مُذنب وغيرُ ذي خطايا ؟

•

وتمثّلَ معاوية عند الموت بهذا البيت :

هو الموتُ لا مَنْجى من الموت ، والذي
نُحاذِر بعد الموت أنْكى وأفظَعُ

ثم قال : اللهم فأقِل العَثْرَة ، واعفُ عن الزّلّة ، وعُدْ بحِلمك على جهل من لم يَرْجُ غيرَك ، ولم يَثِق إلا بك ، فإنك واسع المَغفِرة . يا رب ، أين لذي الخطإ مَهْرب إلا إليك ؟

قال داود بن أبي هِنْد : فبلغني أنّ سعيد بن المُسيّب قال حين بلغه ذلك : لقد رغب الى مَن لا يُرغب إلا إليه كَرْهاً ، وإني أرجو من الله له الرحمة .

•

الأصمعيُّ قال : سمعتُ أعرابيّاً يقول في دُعائه وابتهاله : إلهي ، ما توهمتُ سَعة رحمتك ، إلا وكانت نَعْمة عَفْوك تقْرَع مسامعي : أن قد غَفَرتُ لك . فَصَدِّق ظني بك ، وحقّق رجائي فيك يا إلهي .

•

ومن أحسن ما قيل في الرجاء هذا البيت :

وإني لأرجُو الله ، حتى كأنّني
أرى ، بجَميل الظّنّ ، ما اللهُ صانِعُ

•

قولهم في التوبة

مرَّ المسيحُ بن مَريم ، عليه السلام ، بقَوم من بني اسرائيل يَبكون ، فقال لهم : ما يُبْكيكم ؟

قالوا : نَبكي لذنوبنا .

قال : اتركوها تُغْفَر لكم .

•

وقال عليُّ بن أبي طالب ، كرّم الله وجهه : عجباً لمن يَهْلِك ومعه النجاة !

قيل له : وما هي ؟

قال : التوبة والاستغفار .

•

وقالوا : كان شابٌ من بني اسرائيل قد عَبد الله عشرين حِجَّةً ثم عصاه عشرين حِجّة ، فبينما هو في بَيته يتراءى في مرآته نَظَر الى الشَّيْب في لِحْيَته فساءَهُ ذلك فقال : إلهي ، أطعتُك عشرين سنةً ، وعَصيتك عشرين سنة ، فإن رجعتُ إليك تَقْبَلني ؟ فسَمع صوتاً من زاوية البيت ولم يرَ شَخْصاً : أحْبَبْتنا

فأحببناك ، وتركتنا فتركناك ، وعصيتنا فأمهلناك ، وإن رجعت إلينا قبلناك .

•

عبدُ الله بن العلاء قال : خرجنا حُجّاجاً من المدينة ، فلما كنا بالحُليفة نزلنا ، فوقف علينا رجلٌ عليه أثوابٌ رثّة له منظر وهيئة ، فقال : مَنْ يَبْغي خادماً ؟ من يَبغي ساقياً ؟ من يملأ قِرْبة أو إداوَة ؟

فقلنا : دونك هذه القِرَبَ فاملأها .

فأخذها وانطلق ، فلم يلبث إلاّ يسيراً حتى أقبل ، وقد امتلأت أثوابُه طيناً ، فوضعها وهو كالمسرور الضاحك ثم قال : لكم غيرُ هذا ؟ قلنا : لا ؛ وأطعمناه قارِصاً حازراً[1] ، فأخذه ، وحمِد الله وشكَرَه ، ثم اعتزل وقعد يأكل أكلَ جائع ، فأدركتني عليه الرّقة ، فقمتُ إليه بطعام طيّب كثير ، وقلتُ : قد علمتُ أنه لم يَقَع منك القارص موقعاً فدُونك هذا الطعامَ فكُله .

فنظَر في وجْهي وتبسّمَ وقال : يا عبدَ الله ، إنما هي فَوْرَةُ هذه النار قد أطفأتُها ، وضرب بيده على بطنه .

---

١ القارص : اللبن يحذي اللسان . الحازر : الحامض .

فرجعتُ وقد انكسف بالي لما رأيتُ من هيبته . فقال لي رجلٌ كان الى جانبي : أتعرفه ؟

قلتُ : ما أعرفه .

قال : هذا رجل من بني هاشم من وَلد العبّاس بن عبد المُطّلب ، كان يَسْكُن البَصرةَ ، فتاب وخَرجَ منها فَفُقِدَ وما يُعرف له أثر .

فأعْجبني قولُه ، ثم لحقتُ به وناشدتُه الله ، وقلتُ له : هل لك أن تُعادلني ، فإن معي فَضْلًا من راحلتي وأنا رجلٌ من بعض أخوالك ؟

فجَزاني خيراً ، وقال : لو أردتُ شيئاً من هذا لكان لي مُعَدّاً .

ثم أنِس إليّ وجَعَل يُحدّثني ، وقال : أنا رجلٌ من ولد العبّاس كنتُ أَسْكُن البَصْرة وكُنت ذا كِبْر شديد وجَبَروت وبَذَخ ، وإني أمرتُ خادماً أن تَحْشو لي فِراشاً ومِخدّة من حرير بوَرْدٍ نَثير ، ففعلَتْ ، فإني لنائم إذ أيْقظتني قِمَع وَرْدة أغفلتْه الخادمُ ، فقمتُ إليها فأوجعتها ضَرباً . ثم عُدتُ الى مضْجعي بعد أن خَرجَ ذلك القِمَع من المِخدّة ، فأتاني آتٍ في منامي في صُورة فَظيعةٍ فنَهَرَني وزَبَرَني[1] ،

---

١ زبرني : نهرني .

وقال : أفِق من غَشْيتك وأبصِرْ من حَيْرَتك ؛ ثم أنشأ يقول :

يا خَدُّ إنّكَ إنْ تُوَسَّدْ لَيِّناً ،
وُسِّدْتَ ، بعد الموتِ ، صُمَّ الجَنْدَلِ

فامْهَدْ لِنَفسِك صالِحاً تَنْجُو به ،
فَلَتَنْدَمَنَّ غـداً ، إذا لم تَفعَل[1]

فانتبهتُ فَزِعاً وخرجتُ من ساعتي هارباً بدِيني الى ربّي .

•

وقالوا : علامةُ التوبة الخروجُ من الجهل ، والندمُ على الذنب ، والتجافي عن الشَّهْوَة ، وتَركُ الكذب ، والانتهاءُ عن خُلق السُّوء .

وقالوا : التائب من الذنب كمنْ لا ذنبَ له ، وأولُ التوبة الندم .

•

ومن قولنا في هذا المعنى :

يا ويلَنا من مَوْقِفٍ ، ما به أخوفُ مِن أن يَعدِلَ الحاكمُ
أُبارز الله بعصيانه ، وليس لي من دُونه راحم
يا ربِّ غُفْرانك عن مُذْنب ، أَسْرَف إلاّ أنه نادم[2]

•

---

١ لم يجزم تنجو في جواب الأمر ، وهذا جائز .
٢ الغفران هنا في معنى الصفح ولذلك عداه بعن عوضاً عن اللام .

وقال بعض أهل التفسير في قول الله ، تبارك وتعالى « يا أيُّها الذين آمنُوا تُوبُوا الى الله تَوبَةً نَصُوحاً » : إنّ التوبةَ النَّصُوح أن يتوب العبدُ عن الذنب ولا يَنْوي أن يعود إليه .

وقال ابنُ عبّاس في قول الله ، عزّ وجلّ « إنّما التَّوبةُ على اللهِ لِلّذِينَ يَعمَلُونَ السُّوءَ بجَهالةٍ ثم يَتُوبُون من قريب » : إنّ الرجل لا يَركَبُ ذنْباً ولا يأتي فاحشةً إلا وهو جاهل .

وقوله « ثم يَتُوبُون من قَريب » قال : كلُّ ما كان دون المُعاينة فهو قريب ، والمُعاينة أن يُؤخَذ بِكَظْمِ[1] الإنسان ، فذلك قوله : « إذا حَضَرَ أحدَهم المَوتُ قال إني تُبْتُ الآن . »

قال أهلُ التفسير : هو إذا أُخِذ بكَظْمه .

وقال ابنُ شُبْرُمة : إني لأعجب ممن يَحْتَمي مخافةَ الضرر ولا يدعُ الذنوبَ مخافةَ النار .

•

---

١ الكظم : مخرج النفس .

المبادرة بالعمل الصالح

قال الله، عزّ وجلّ: « وَسارِعُوا الى مَغْفِرَةٍ مِنْ ربِّكُم وجَنَّة . »

وقال تعالى: « والسَّابِقُونَ السَّابقُونَ أُولئك المُقَرَّبُون. »

وقال الحسن: بادِروا بالعمل الصالح قبل حُلول الأجَل، فإنّ لكم ما أمْضيتم لا ما أبْقَيْتم .

وقالوا: ثلاثة لا أناة فيهن: المُبادرة بالعمل الصالح، ودفن الميّت، وإنكاح الكُفء .

وقال النبيُّ، صلى الله عليه وسلّم: ابنَ آدم، اغتنم خمساً قبل خَمْس: شبابك قبل هَرَمك، وصِحتك قبل سَقَمك، وفَراغَك قبل شُغلك، وحياتك قبل مَوتك، وغِناك قبل فقرك .

وقال الحسن: ابنَ آدم، صُمْ قبل أن لا تَقْدر على يوم تَصُومه، كأنك إذا ظَمِئْت لم تَكُن رَوِيت، وكأنك إذا رَوِيت لم تكن ظَمِئْت .

وكان يزيد الرَّقاشِي يقول: يا يزيدُ، من يَصُوم عنك أو يُصَلّي لك، أو يَتَرَضَّى لك ربَّك إذا مِتّ ؟

•

وكان خالدُ بنُ مَعْدان يقول :

إذا أنت لم تَزرَع ، وأبصرتَ حاصداً ،
نَدِمْتَ عَلى التَّفْريط في زَمن البذْرِ

•

وقال ابنُ المُبارك : رَكِبْتُ مع محمد بن النَّضْر في سفينة ، فقُلتُ : بأي شيء أستَخرِج منه الكلامَ ؟ فقلتُ له : ما تقول في الصَّومِ في السفر ؟

فقال : إنما هي المبادرة يابن أخي .

فجاءني والله بفُتْيا غير فُتْيا إبراهيم والشَّعبي .

•

ومن قولنا في هذا المعنى :

بادِرْ الى التَّوبةِ الخَلْصاء مُجْتهداً ،
والموتُ ، وَيْحك ، لم يَمْدُد إليك يَدا

وارْقُب ، من الله ، وَعداً ليسَ يُخلِفُه ؛
لا بُدَّ لله من إنجاز مـــا وَعَدا

•

وقال عليُّ بن أبي طالب ، رضي الله عنه ، لأصحابه : فيمَ أنتم ؟ قالوا : نَرجُو ونَخاف .

قال : مَن رجا شيئاً طلَبَه ، ومن خاف شيئاً هَرب منه .

•

وقال الشاعر[1] :

تَرجُو النجاةَ ولم تَسلُك مَسالكها ؛
إنّ السَّفينةَ لا تَجْري على اليَبَسِ

•

وقال آخر :

اعمل ، وأنتَ من الدُّنيا على حَذَر ؛
واعلم بأنَّكَ ، بعد المَوت ، مَبعُوثُ

واعلم بأنَّك ما قَدَّمْت من عَمَل
يُحْصى عَليك ، وما خَلَّفتَ مَوروث

•

وقدَّمَت عائشةُ ، رضي الله عنها ، الى النبيّ ، صلّى الله عليه وسلّم ، صَحْفَة فيها خُبز شَعير وقطعة من كَرِش ، وقالت : يا رسولَ الله ، ذبحنا اليوم شاةً فما أمسكنا منها غيرَ هذا ؛ فقال : بل كلَّها أمسكتم غير هذا .

---

١ ابو نواس .

العجز عن العمل

قال رجلٌ لمُؤَرِّق العِجْلي : أشكو إليك نفسي ، إنها لا تُريد الصلاة ولا تَستَطيع الصبرَ على الصِّيام .

قال : بئس الثناءُ أثنيتَ به على نفسك ، فإذا ضعُفْتَ عن الخير فاضْعُف عن الشرّ ، فإن الشاعر قال :

احْزَنْ على أنَّكَ لا تَحزَنُ ؛ ولا تُسيء إن كُنتَ لا تُحسنُ

واضعُف عن الشرّ ، كما تَدَّعي ضَعْفاً عن الخيرِ ، وقد يُمْكِنُ

•

وقال بكرُ بن عبد الله : اجتهدوا في العَمل ، فإن قَصَّرَ بكم ضَعْفٌ فأمسكوا عن المعاصي .

وقال الحسنُ ، رحمه الله : من كان قويّاً فَلْيَعتمد على قُوّته في طاعة الله ، ومن كان ضعيفاً فلْيَكُفّ عن مَعاصي الله .

وقال عليُّ بن أبي طالب ، عليه السلام : لا تَكُن كمن يَعجِزُ عن شُكر ما أُوتي ، ويَبْتغي الزيادة فيما بَقِي ، ويَنْهى الناسَ ولا يَنتهي .

•

وكان الحسنُ إذا وَعظ يقول : يا لها موعظةً لو صادفت من القُلوب حياةً ، أسمَع حَسِيساً ولا أرى أنيساً ، ما لهم تفاقدوا عقولَها ، فَراش نار وذباب طَمَع .

وكان ابن السمّاك إذا فرَغ من مَوعظته يقول : ألسِنَةٌ تَصِف ، وقلوب تَعرف ، وأعمال تُخالِف .

وقال : الحسنةُ نورٌ في القَلب وقُوَّةٌ في العَمَل ، والسيِّئة ظلمة في القلب وضَعف في العمل .

•

وقال بعضُ الحُكماء : يا أيُّها المشيَخَة الذين لم يَتركوا الذنوب حتى تَركَتْهُم الذُّنوبُ ، ثم ظَنُّوا أنّ تَرْكها لهم توبة ، وليتهم إذ ذهبتْ عنهم لم يَتَمَنَّوا عودَها إليهم .

وكان مالكُ بن دِينار يقول : ما أشدَّ فِطامَ الكبير ! ويُنشد :

وتَروض عِرسَك ، بعدما هِرِمَت ،
ومن العَناء رياضةُ الهَرِمِ

•

ومن حديث محمد بن وضّاح قال : إذا بلَغ الرَّجلُ أربعين سنة ولم يَتُب مَسَح إبليسُ بيده على وَجْهه وقال : بأبي وَجهٌ لا أفلَح أبداً .

•

قال الشاعر :

فإذا رآى إبليسُ غُرّةَ وَجْهِهِ
حَيّا، وقال: فَديتُ من لا يُفْلِحُ

•

وقال رجل للحسن : أبا سعيد، أردتُ أن أُصَلّي فلم أستَطع ؛ قال : قَيَّدَتْكَ ذنوبك .

•

قولهم في الموت

قال النبيّ، صلّى الله عليه وسلّم، لعمر بن الخطّاب، رضوانُ الله عليه: ما عندك من ذِكر الموت أبا حَفْص؟

قال: أُمْسِي فما أرى أني أُصْبِح، وأُصْبح فما أرى أني أُمْسي.

قال: الأمرُ أَوشكُ من ذلك أبا حَفْص، أما إنه يَخرُج عنّي نَفَسِي فما أرى أنه يعود إليّ.

•

وقال عبد الله بن شدّاد: أرى داعي الموت لا يُقلِع، وأرى مَن مَضى لا يَرجع، ومَن بَقي فإليه يَنزع.

وقال الحسن: ابنَ آدم، إنما أنت عَدَد، فإذا مضى يومُك فقد مَضى بعضُك.

•

وقال أبو العتاهية:

النـــاس في غَفَلاتهم؛ ورَحى المَنِيَّة تَطحَنُ

•

وقال عمر بن عبد العزيز: مَن أكثرَ من ذِكر الموت اكتفى باليسير، ومَن عَلِم أنّ الكلام عملٌ قلّ كلامُه إلا فيما يَنفع.

وكان أبو الدَّرداء إذا رأى جنازة ، قال : اغدي فإنا رائحون ، أو روحي فإنا غادون .

وقال رجل للحسن : مات فلانٌ فجأة .

فقال : لو لم يَمُتْ فجأةً لَمَرِض فجأة ثم مات .

وقال يعقوب ، صلواتُ الله عليه ، للبَشير الذي أتاه بقَميص يوسف : ما أدري ما أُثيبك به ، ولكن هَوَّن الله عليك سكراتِ الموت .

•

وقال أبو عمرو بن العلاء : لقد جَلستُ الى جَرِير وهو يُملي على كاتبه :

وَدِّع أُمامةَ حان منك رَحيلُ

ثم طلعت جِنازةٌ فأمسك وقال : شَيَّبَتني هذه الجنائز .

قلت : فَلِم تسُبُّ الناس ؟

قال : يَبدَأونني ثم لا أعفو ، وأَعتدي ولا أَبتدي ؛ ثم أَنشد يقول :

تُرَوِّعنا الجنائزُ مُقبِلاتٍ ، فنَلهُو حين تذهب مُدْبراتِ
كَرَوعة هَجمةٍ لِمُغار سَبْعٍ ، فلما غابَ عادتْ راتعاتِ[1]

•

---

١ الهجمة من الابل : ما بين الأربعين أو السبعين الى المئة .

وقالوا : مَن جعل الموتَ بين عَينَيه لها عما في يَديه .

وقالوا: اتخذ نوحٌ بيتاً من خُصّ؛ فقيل له: لو بَنيتَ ما هو أحسنُ من هذا ؟ قال : هذا كثيرٌ لمن يموت .

•

وأحكم بيتٍ قالتْه العربُ في وَصف الموت بيتُ أُميَّة بن أبي الصَّلت ، حيث يقول :

يوشِك من فَرّ من مَنيَّته ، في بَعض غِرّاته يُوافِقُها
من لم يمُتْ عَبطةً يَمُتْ هَرَماً ، للموتُ كأسٌ ، والمرءُ ذائقُها[1]

•

وقال أَصبَغ بن الفَرَج : كان بنَجْران عابدٌ يَصيح في كلّ يوم صَيحتين بهذه الأبيات :

قَطَعَ البقاءَ مَطالعُ الشمس ، وغُدوُّها من حيث لا تُمْسِي
وطلوعُها حمراءَ قانيةً ؛ وغُروبُها صفراءَ كالوَرْس
اليومُ يُخبر ما يجيء به ، ومَضى بفَصْل قَضائه أمس

•

---

١ عبطة : من دون علة .

وقال آخر :

زيَّنتَ بيتك جاهلاً وعَمَرتَه ، ولعلّ غيرك صاحبُ البيت
مَن كانت الأيامُ سائرةً به ، فكأنه قد حلّ بالموت
والمرءُ مُرتهَنٌ بسوف ولَيتَني ، وهلاكُه في السَّوف واللَّيْتِ
لله دَرُّ فتًى تَدَبَّرَ أمرَه ، فَغَدا وراح مُبادِرَ الفَوت

•

وقال صريع الغواني :

كم رأينا من أُناس هَلَكوا ، قد بَكَوا أحبابَهُم ثم بُكُوا
تَركُوا الدُّنيا لمن بعدهُمُ ، وُدُّهم لو قَدَّمُوا ما تَركوا
كم رأينا من مُلوكٍ سُوقَة ؛ ورأينا سُوقةً قد مَلَكوا

•

وقال الصَّلَتان العَبْدِيّ :

أشابَ الصَّغيرَ ، وأفْنى الكبيـ ـرَ ، كَرُّ الغَداة ، ومرُّ العَشِي
إذا ليلةٌ أهْرَمَت يومَها ، أتى ، بعدَ ذلك ، يومٌ فَتِي
نَروح ونَغدو لحاجاتِنا ، وحاجةُ مَن عاش لا تَنْقَضي
تَموت مع المرء حاجاتُه ، وتَبْقى له حاجةٌ ما بَقِي

•

وكان سُفيان بن عُيينة يَستحسن قولَ عَدِيّ بن زَيْد :

أينَ أهلُ الديار من قوم نُوحٍ ، ثم عادٌ ، من بعدها ، وثَمودُ
بينما هُمْ على الأسِرّة والأنـ ـماط ، أفضت ، الى التراب ، الخدود
وصحيحٌ أمْسى يعُودُ مريضاً ، وهو أدنى للموت ممَّن يَعُود
ثم لم ينقضِ الحديثُ ، ولكنْ ، بعد ذا كلّه وذاك ، الوعيد

•

وقال أبو العتاهية في وصف الموت :

كأنّ الأرض قد طُويت عليّا ، وقد أُخرِجْتُ مما في يَدَيّا
كأن قد صرتُ منفرداً وحيداً ومُرتَهَناً هناك بما لَدَيّا
كأنّ الباكياتِ عليّ يوماً ، ولا يُغني البُكاءُ عليّ شَيّا
ذكرتُ مَنِيّتي ، فنعيتُ نفسي ؛ ألا أسعِدْ أُخَيَّك يا أُخَيّا

وقال :

ستَخلقُ جِدّةٌ وتجُود حالُ ؛ وعِند الحقّ تُختَبَر الرِّجالُ
وللدُّنيا ودائعُ في قلوبٍ ، بها جَرَت القَطيعة والوصال
تَخَوَّفُ ما لَعلّك لا تَراه ، وترجُو ما لعلّك لا تَنال
وقد طَلع الهِلالُ لهَدمِ عُمري ، وأفرَحُ كُلّما طَلع الهِلال

وله أيضاً :

من يعش يكبرْ ومن يكبر يمت ، والمنايا لا تُبالي من أتَت
نحن في دار بَلاءٍ وأذى ، وشقاءٍ وعناءٍ وعَنَت
مَنزلٌ ما يَثبُتُ المرءُ به سالماً إلا قليلاً إن ثَبَت
أيها المَغْرور ما هذا الصِّبا ؟ لو نهيتَ النفسَ عنه لانتهت
رَحِمَ الله امرأً أنصَفَ مِن نفسه ، إذ قال خيراً ، أو سكت

•

ومن قولنا في ذكر الموت :

من لي إذا جُدتُ بين الأهل والولدِ ،
وكان منّيَ نحو الموت قَيْد يَدِ[1]

والدَّمْعُ يَهمُلُ والأنفاسُ صاعِدةٌ ،
فالدَّمْعُ في صَبَبٍ والنَّفس في صُعُد

ذاك القضاءُ الذي لا شيءَ يَصرِفه ،
حتى يُفَرِّق بين الرُّوح والجسَد

ومن قولنا فيه :

أتلْهو بين باطيةٍ وزيرٍ ، وأنت من الهلاك على شَفيرِ ؟[2]

---

١ جدت : أي بروحي .
٢ الباطية : من أواني الخمر . الزير : الدن .

فيا مَن غرّهُ أَمَلٌ طويلٌ ، يؤدّيه الى أجلٍ قَصير
أَتَفْرَحُ ، والمَنِيّة كلَّ يومٍ تُريك مكانَ قبرك في القُبور؟
هي الدُّنيا ، فإن سرّتْكَ يوماً ، فإن الحُزنَ عاقبةُ السُّرور
ستُسلَب كلَّ ما جمَّعْت منها ، كعاريةٍ تُرَدُّ الى المُعير
وتَعتاضُ اليَقينَ من التَّظنّي ، ودارَ الحقِّ من دار الغُرور

•

ولأبي العتاهية :

وليس مِن منزلٍ يأويه ذو نَفَس ،
إلا وللمَوتِ سَيفٌ فيه مَسلولُ

وله أيضاً :

ما أقربَ الموتَ منّا ! تَجاوزَ اللهُ عنّا
كأنّه قد سقانا بكأسه ، حيثُ كُنّا

وله أيضاً :

أُؤَمِّلُ أنْ أُخَلَّدَ ، والمَنايا يثبنَ عليَّ من كلِّ النَّواحي
وما أدري ، إذا أمسَيتُ حيّاً ، لعَلّي لا أعيشُ الى الصَّباح

•

وقال الغزّال :

أصبحتُ ، والله ، مجهوداً على أملٍ ،
منَ الحياة ، قصيرٍ ، غيرِ ممتدِّ

وما أُفارقُ يوماً مَنْ أُفارقُه ،
إلا حسِبْتُ فِراقي آخرَ العهدِ

انظُر إليّ ، إذا أُدرجْتُ في كفَني ؛
وانظُر إليَّ ، إذا أُدرجْت في اللَّحْد

واقعُدْ قليلًا ، وعاينْ مَنْ يُقيم معي
ممن يُشيِّعُ نعْشي من ذوي وُدِّي

هيهاتَ ! كلُّهُمُ في شأنِه لعِبٌ ،
يرمي الترابَ ويحثُوه على خدِّي

•

وقال أبو العتاهية :

نعى لك ، ظِلَّ الشَّباب ، المشيبُ ،
وناداكَ باسمٍ سواكَ الخُطوبُ

فكُن مُستعِدّاً لرَيْب المَنُون ،
فإنَّ الذي هو آتٍ قريب

وقَبْلَك داوى الطبيبُ المَريضَ ،
فعاش المَريضُ ، ومات الطَّبيب

يَخاف على نَفْسه من يَتُوب،
فكَيف ترى حـــالَ من لا يَتُوب؟

وله أيضاً :

أُخَيَّ ادَّخِرْ ، مهما استَطَعْـ تَ لِيَوم بُؤسِكَ وافتقارِكْ
فَلَتَـــنزلنَّ بمَـــنزِلٍ، تَحْتاجُ فيه الى ادّخارِك

•

وقال أبو الأسود الدُّؤليّ :

أيُّها الآمِلُ ما ليسَ لَه ! ربمـــا غَرَّ سَفِيهاً أَمَلُهْ
رُبَّ من بات يُمَنِّي نفسَه ، حالَ مِن دون مُناه أَجَلُه
والفَتى المُحْتال فيما نابَه ، ربمـــا ضاقَت عليه حِيَلُه
قُلْ لمن مَثَّل في أشعاره : يَهلِكُ المرءُ، ويَبْقى مَثَلُه
نافِس المُحسِن في إحسانِه ، فسَيَكفيك سَناءً عَمَلُـــه

•

وقال عديّ بن زيد العِبادِيّ :

أين كِسرى، كسرى الملوك أنوشروانَ،
أَمْ أَيْن قَبْلَـــه سابورُ؟

وبَنُو الأصفَر الكِرام، مُلوك الرُّوم،
لم يَبْقَ منهـــمُ مَذكُور

وأخُو الحَضْرِ، إذ بَناه، وإذ دِجلةُ
تُجْبى إليــه والخابُور[1]

شادَهُ مَرْمَراً وجلّلَه كِلْساً،
فللطيرِ في ذَراه وُكُورُ

لم يَهَبْه رَيْبُ المَنونِ فبانَ المُلكُ
عنــه، فَبابُــهُ مَهْجُور

وتبيّن رَبُّ الخَورنق إذ أشرَف
يوماً وللهُدى تفكــير[2]

سَرَّهُ مالُه، وكثْرةُ ما يَملِكُ،
والبحرُ مُعرِضاً والسَّدِير[3]

فارْعَوى قلبُه، وقال: فما غِبْطة
حيٍّ الى المَمــات يَصير؟

---

١ الحضر: حصن عظيم كان على شاطىء الفرات، قالوا بناه ساطرون من أجداد النعمان بن المنذر. الخابور: نهر كبير بين رأس عين والفرات من أرض الجزيرة.

٢ الخورنق: قصر كان بظهر الحيرة، بناه النعمان بن امرىء القيس، وكان من أشد الملوك بأساً ثم زهد وفر هارباً الى الفلوات والجبال.

٣ السدير: قصر بالحيرة أيضاً من منازل آل المنذر.

ثم بعـــد الفلاح والمُلك والنّعمة
وارتـهُم ، هنـــاك ، القبُور

ثم صاروا ، كأنّهُم وَرَقٌ جَفّ ،
فألْوَتْ بـه الصّبـــا والدّبور

•

وقال حُرَيث بن جَبلة العُذري :

يا قلبُ إنّكَ في الأحيـاء مَغرورُ ،
فاذكُرْ ، وهل يَنْفَعَنْك اليوم تذكيرُ

حتى متى أنتَ فيهـــا مُدنَفٌ وَلِهٌ ،
لا يَستَفزّنْكَ منها البُدّن الحُور[1]

قد بُحتَ بالجَهْلِ لا تُخفيه عن أحَد ،
حتى جَرتْ بـــك أطلاقاً محاضير[2]

تُريد أمراً ، فمـــا تدري أعاجِلُه
خيرٌ لِنَفْسِك ، أم مـا فيه تأخير

فاستقدِر اللهَ خَيراً وارضَيَنّ بـه ،
فبينما العُسْرُ إذ دارتْ مَياسير[3]

---

١ البدن ، واحدتها بدينة : السمينات .
٢ الأطلاق ، واحدها طلق : الشوط . المحاضير من الخيل : الشديدة العدو .
٣ استقدر الله : اطلب منه أن يقدر لك .

وبينما المرءُ في الأحيـــاء مُغتَبطٌ،
إذ صار في الرَّمس تَعفُوهُ الأعـاصير

حتى كـأن لم يَكُنْ إلاّ توهّمـه،
والدَّهر في كلِّ حالَيْه دَهـــارير[1]

يَبكي الغريبُ عليـه، ليس يَعرفُه،
وذو قرابتـــه في الحيِّ مسرور

فذاك آخرُ عَهْدٍ من أخيـك إذا
ما ضَمَّنَت، شِلْوَهُ اللَّحْدَ، المحافير[2]

•

---

١ دهر دهارير : شديد .
٢ المحافير ، واحدها محفار ، ومحفر : آلة الحفر .

قولهم في الطاعون

قال أبو عُبيدة بن الجرّاح لعمر بن الخطّاب، رضوانُ الله عليه، لمّا بلغه أنّ الطاعونَ وَقَع في الشام فانصرف بالناس : أفراراً من قَدَرِ الله يا أمير المؤمنين ؟

قال عمر : لو غيرك قالها يا أبا عبيدة ، نعم نَفِرُّ من قَدَر الله الى قَدَر الله ، أرأيت لو أنّ لك إبلًا هَبَطْتَ بها وادياً له عِدْوتان إحداهما خَصيبة والأخرى جَديبة ، أليس لو رعيتَ الخصيبة رعيتَها بقَدَر الله، ولو رعيتَ الجديبة رعيتَها بقدَرالله ؟

وكان عبدُ الرحمن بن عَوْف غائباً فأقبل،فقال: عِندي في هذا عِلمٌ سمعتُه من رسول الله ، صلّى الله عليه وسلّم ، قال : إذا سمعتم به في أرض فلا تَقْدَموا عليها ، وإذا وَقع في أرض، وأنتم بها ، فلا تَخْرُجوا فِرَاراً منه .

فَحَمِد الله عُمر ثم انصرَف بالناس .

•

وقيل للوليد بن عبد الملك حين فرّ من الطاعون : يا أميرَ المؤمنين ، إن الله تعالى يقول : « قُل لَنْ يَنْفَعَكم الفِرارُ إن فَرَرْتُمْ منَ المَوْتِ أو القَتْل وإذاً لا تُمَتَّعُون إلاّ قليلًا. »

قال : ذلك القليلَ نَطْلُب .

•

العُتْبيّ قال : وَقع الطاعونُ بالكُوفة ، فخرج صَديق لِشُرَيح إلى النَّجَف ، فكتب إليه شُرَيح : أما بعد ، فإن المَوْضع الذي هرَبْتَ منه لم يَسُق إلى أجلك تمَامه ، ولم يَسْلُبْه أيّامه ؛ وإنّ الموضع الذي صِرت إليه لَبِعَيْنِ مَنْ لا يُعجزه طَلب ولا يَفوتُه هرَب ؛ وأنا وإيّاك على بِساط مَلِك ، وإنّ النَّجَف من ذي قُدْرةٍ لَقَريب .

•

لما وقع الطاعون الجارفُ أطاف الناسُ بالحُسين ، فقال : ما أحسنَ ما صَنع بكم ربُّكم ، أفْلَع مُذنِبٌ وأنْفَق مُمْسك .

•

وخرج أعرابيّ هارباً من الطاعون فَلدغَتْه أفْعى في طريقه فمات ، فقال أخوه يَرثيه[1] :

طافَ يَبْغي نَجْوَةً ... من هَلاكٍ ، فَهلَكْ

لَيْتَ شِعْري ، ضَلّةً ، ... أيُّ شيءٍ فَتَلَكْ

أجُحافٌ سائلٌ ... مِن جِبالٍ حَمَلَكْ؟[2]

---

١ تروى هذه الابيات لأم السليك بن السلكة .

٢ الجحاف : السيل .

والمَنايا راصِداتٌ ، للفتى حيثُ سَلَك
كلُّ شيءٍ قاتِلٌ ، حين تَلْقى أجَلك

•

حُكيَ أنَّ ماء المطر اتصل في وقت من الأوقات ، فقطع الحسنَ بن وَهْب عن لقاء محمد بن عبد الملك الزيّات ، فكتب اليه الحسن :

يوضِح العذرَ ، في تراخي اللّقاءِ ، ما تَوالى مِن هذه الأنْواءِ
فَسَلامُ الإله أُهديه منّي ، كلَّ يومٍ ، لسيِّد الوزراءِ
لستُ أدري ماذا أذمُّ وأشكُو من سماءٍ تَعُوقُني عن سماءِ؟
غيرَ أني أدعُو لهاتيك بالثُّكْل ، وأدعُو لهذه بالبقاءِ

•

اتصل بأحمد بن أبي دُواد أن محمد بن عبد الملك هَجاه بقصيدة فيها تسعون بيتاً ، فقال :

أحسنُ من تسعينَ بيتاً ، سدًى ، جَمْعُك مَعناهنَّ في بيتِ
ما أحوَجَ الناسَ الى مَطْرةٍ ، تُزيلُ عنهم وضَرَ الزّيتِ

فبلغ قولُه محمداً فقال :

يأيُّها المأفُون رأياً ، لقَد عرَّضْتَ لي نَفْسَك للموتِ

قَيَّرتُم المُلْكَ، فلم نُنْقِهِ، حتى قلَعنا القارَ بالزَّيت
الزيتُ لا يُزري بأحسابِنا؛ أحسابُنا مَعروفةُ البَيت

•

وقيل لابن أبي دواد: لِمَ لا تسأل حوائجَك الخليفةَ بحضْرة محمد بن عبد الملك ؟ فقال : لا أُحب أن أُعلِمَه شأني .

وقد حدّث أبو القاسم جَعْفَر أن محمداً الحَسَنيّ قال : أخبرنا محمد بن زكريا الغلابيّ ، قال : حدثنا محمد بن نجيع النُّوبَختي ، قال : حدثنا يحيى أن سليمان قال : حدثني أبي، وكان ممن لَحِق الصحابة ، قال : دخلتُ الكوفة فإذا أنا برجل يُحدّث الناس ، فقلت : من هذا ؟ قالوا : بَكر بن الطِّرِمّاح ، فسمعتُه يقول : سمعتُ زَيد بن حُسين يقول : لمّا قُتِل أميرُ المؤمنين عليُّ بن أبي طالب ، عليه السلام ، أتى بنَعْيه الى المدينة كُلثوم بن عَمرو ، فكانت تلك الساعة التي أُتي فيها بنَعيه أشْبَه بالساعة التي قُبِضَ فيها رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، من باكٍ وباكية ، وصارخٍ وصارخة ، حتى إذا هَدأت عَبْرَة البُكاء عن الناس، قال أصحاب رسول الله، صلى الله عليه وسلم: تعالوا حتى نَذهَبَ الى عائشة زوْجِ النبيّ ، صلى الله عليه وسلم ، فَنَنْظُرَ حُزْنَها على ابن عمّ رسول الله ، صلى الله عليه وسلم .

فقام الناسُ جميعاً حتى أتَوا منزلَ عائشة، رضي الله عنها،

فاستأذنوا عليها فوجدوا الخبرَ قد سبَق اليها ، وإذا هي في غَمْرَة الأحزان وعَبرَة الأشجان ، ما تَفتُر عن البُكاء والنَّحيب منذُ وقتِ سَمِعَتْ بخَبره . فلما نَظَر الناسُ الى ذلك منها انصرفوا .

فلما كان من غدٍ قيل إنها غَدَت الى قبرِ رسول الله ، صلّى الله عليه وسلم ، فلم يَبْق في المَسجد أحدٌ من المهاجرين إلا استَقبلها يُسلِّم عليها ، وهي لا تُسلِّم ولا تَرُدّ ولا تُطيق الكلامَ من غَزارة الدَّمعة ، وغَمْرة العَبْرة ، تتخنَّق بعَبرتها ، وتتعثَّر في أثوابها ، والناسُ من خَلْفها ، حتى أتت الى الحُجرة ، فأخذت بعِضادة الباب ثم قالت : السلامُ عليك يا نبيَّ الهدى ، السلامُ عليك يا أبا القاسم ، السلامُ عليك يا رسولَ الله وعلى صاحبَيك .

يا رسول الله ، أنا ناعيةٌ إليك أحظى أحبابك ، ذاكرةٌ لك أكرمَ أوِدّائك عليك . قُتل والله حبيبُك المُجتبى ، وصفيُّك المُرتَضى . قُتل والله مَن زوَّجته خيرَ النِّساء . قُتِل والله من آمَن ووَفَّى ، وإني لنادِبة ثَكْلى ، وعليه باكِيةٌ حَرّى . فلو كُشِف عنك الثَّرى لقُلتَ : إنّه قُتل أكرمهم عليك وأحظاهم لديك . ولو قُدِّر أن نَتَجنّب العِداء ما كان ، ما تَعرَّضت له منذُ اليوم ، والله يُجْري الأمور على السَّداد .

•

قال المبرّد : عزّى أحمدُ بن يوسف الكاتب ولدَ الرَّبيع ، فقال : عُظّم أجركم ، ورحم الله فقيدكم ، وجعل لكم من وَراء مُصيبتكم حالاً تجمعُ شَمْلكم ، وتَلُمُّ شَعَثَكم ، ولا تُفَرِّق مَلأكم .

وقيل لأعرابية مات لها بَنُون عِدّة : ما فعل بنوك ؟

قالت : أكلَهم دهرٌ لا يَشبع .

وعزّى رجل الرشيدَ فقال : يا أمير المؤمنين ، كان لك الأجر لا بك ، وكان العزاء لك لا عَنك .

•

ومما رُوي أن عبد الله بن عبّاس ، رضي الله عنهما ، نُعيت إليه ابنتُه وهو في السفَر ، فاسترجع[1] ، ثم قال : عَورةٌ سترَها الله ، ومَؤونة كفاها الله ، وأجْرٌ ساقَه الله .

وقال أُسامة بن زيد ، رضي الله عنهما : لمّا عُزّي رسول الله ، صلّى الله عليه وسلّم ، بابنته رُقَيّة ، قال : الحمد لله ، دَفْن البنات من المكرُمات . وفي رواية : من المكرمات دفن البنات .

وقال الغَزّال : ماتت ابنة لبعض مُلوك كِنْدة ، فوَضَع

---

١ استرجع : قال : انا لله وانا اليه راجعون .

بين يديه بَدْرَةً من الذهب وقال : مَن أبلغَ في التَّعزية فهي له . فدخل عليه أعرابيّ ، فقال : أعظم الله أجرَ الملك ، كُفِيتَ المؤونة ، وسُتِرتَ العَورة ، ونِعْم الصِّهْر القبْر .

فقال له الملك : أبلغْتَ وأوجَزْت ؛ وأعْطاهُ البَدْرة .

•

من أحب الموت ومن كرهه

في بعض الأحاديث: لا يَتمَنَّى أحدُكم الموتَ ، فعسى أن يكون محسناً فيزداد في إحسانه ، أو يكون مُسيئاً فينْزِع عن إساءَته .

وقد جاء في الحديث: يقولُ الله، تَبارك وتعالى: إذا أَحبَّ عَبْدي لِقائي أَحْبَبْتُ لِقاءه ، وإذا كَرِه لقائي كَرِهْت لقاءه . وليس معنى هذا الحديث حُبَّ المَوتِ وكَراهِيَتَه ، ولكن مَعناه : من أحبَّ الله أحبَّه الله ، ومن كَرِه الله كرِهَه الله .

•

وقال أبو هُرَيرة: كَرِه الناسُ ثلاثاً وأَحْبَبتُهنّ: كَرِهوا المرَض وأَحببتُه ، وكَرِهوا الفقرَ وأحببتُه ، وكَرِهوا الموت وأحببتُه .

عبد الأعلى بن حمّاد قال : دَخَلْنا على بِشْر بن مَنْصور، وهو في المَوت ، وإذا هو من السُّرور في أمرٍ عَظيم . فقلنا له : ما هذا السُّرور ؟

قال : سُبْحان الله ! أخرُج من بين الظّالمين والحاسدين والمُغْتابين والباغِين ، وأقدَم على أرْحَم الرّاحمين ولا أُسَرّ!

•

ودخل الوليدُ بن عبد الملك المسجدَ ، فَخَرج كلُّ من كان فيه إلاّ شيخاً قد حَناه الكِبَر ، فأرادوا أن يُخرجوه، فأشار اليهم أن دَعُوا الشيخ ؛ ثم مضى حتى وقَف عليه ، فقال له : يا شيخُ ، تُحبُّ الموت ؟

قال : لا يا أمير المؤمنين ، ذهَبَ الشبابُ وشَرُّه وأتى الكِبَرُ وخيرُه،فإذا قمتُ حَمِدتُ الله، وإذا قعدتُ ذكرتُه، فأنا أُحِب أن تَدوم لي هاتان الخَلَّتان .

قال عبدُ الله بن عمر : جاء رجل الى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله ، ما لي لا أُحِبُّ الموت ؟

قال : هل لك مال ؟

قال : نعم .

قال : فقدِّمه بين يديك .

قال : لا أُطيق ذلك .

فقال النبيُّ ، عليه الصلاة والسلام : إن المرء مع ماله ، إن قدّمه أحبَّ أن يَلحقَه ، وإنْ أخّره أحبَّ أن يتخلّف معه.

•

وقال الشاعر في كراهية الموت :

قامت تُشَجِّعني هِنْدٌ ، فقلتُ لها :
إن الشَّجاعةَ مقرونٌ بها العَطبُ

لا ، والذي مَنَعَ الأبْصارَ رُؤيَتَه ،
ما يَشْتَهي الموتَ عندي من له أدَبُ

•

وقالت الحكماء : الموت كريهٌ .

وقالوا: أشدُّ من الموت ما إذا نزلَ بك أحببتَ له الموت ، وأطيبُ من العَيش ما إذا فارقتَه أبغضتَ له العَيش .

•

التهجد

المُغيرة بن شُعْبة قال : قام النبيّ ، صلى الله عليه وسلم ، حتى وَرِمَت قدماه .

وقيل للحَسَن : ما بال المُتهجّدين أحسن الناس وجوهاً ؟

قال : إنّهم خَلَوا بالرّحمن فأسفر نورُهم من نورِه .

وكان بعضهم يصلّي الليلَ حتى إذا نظرَ الى الفَجْر قال : عند الصّباح يَحْمَدُ القومُ السُّرى .

وقالوا : الشّتاءُ ربيعُ المؤمنين ، يطولُ ليلُهم للقيام ، ويَقْصُر نهارُهم للصيام .

•

وقال النبيُّ ، صلى الله عليه وسلم : أطعِموا الطّعام وأفشُوا السلامَ وصَلُّوا بالليل والناسُ نِيام .

وقال الله، تبارك وتعالى: « وبالأسْحارِ هُمْ يَسْتَغْفِرون. » وهذا يُوافق الحديثَ الذي رَواه أبو هُريرة عن النبيّ ، صلى الله عليه وسلم : إن اللهَ، تبارك وتعالى ، يَنزل الى سماءِ الدُّنيا في الثُّلث الأخير من اللّيل فيقول : هل من سائلٍ فأعطيَه ؟ هل

من داعٍ فأستجيبَ له ؟ هل من مُستَغفِرٍ فأغفرَ له ؟ هل من مُستَغيث فأغيثَه ؟

أبو عَوانة عن المُغيرة قال : قلتُ لابراهيم النَّخَعي : ما تقولُ في الرَّجل يرى الضّوءَ باللَّيل ؟

قال : هو من الشيطان ، لو كان خيراً لأرِيَه أهلَ بَدْر .

البكاء من خشية الله عز وجل

قال النبيُّ ، صلى الله عليه وسلم : حَرَّم الله على النار كلَّ عَين تَبكي من خَشْيَة الله ، وكلَّ عَينٍ غُضَّت عن محارم الله .

وكان يزيد الرَّقاشي قد بكى حتى سقطت أشفارُ عينيه .

وقيل لغالب بن عبد الله : أمَا تخاف على عَيْنَيْك من العَمى من طُول البكاء ؟

فقال : شِفاءَهما أُريد .

وقيل ليزيدَ بن مَزْيد : ما بالُ عَيْنك لا تَجِفّ ؟

قال : أيْ أخي ، إن الله أوعَدَني إن عَصَيتُه أن يَحبسَني في النار ، ولو أوعدني أن يَحبسني في الحمّام لكنتُ حَرِيّاً أن لا تَجِفّ عيني .

•

وقال عمر بن ذَرّ لأبيه : ما لَك إذا تكلَّمتَ أبكَيْتَ الناسَ ، فإذا تكلَّم غيرُك لم يُبكِهم ؟

قال: يا بُنيَّ، ليست النائحة الثَّكلى مثلَ النائحة المستأجَرَة.

وقال الله لنبيٍّ من أنبيائه : هَبْ لي من قلبِك الخُشوع ، ومن عَينَيك الدُّموع ، ثم ادْعُني أستَجِب لك .

ومن قولنا في البكاء من خشية الله تعالى :

مدامعٌ قد خَدَّدت في الخدودْ وأعينٌ مكحولة بالهُجُودْ[1]

ومَعْشرٌ أوْعدهم رَبُّهم ، فبادَروا خَشْيَة ذاك الوعيدْ

فهُم عُكُوفٌ في محاريبهم ، يبكون من خوف عقاب المَجيد

قد كاد أن يُعشبَ ، من دمعهم ، ما قابلتْ أعينُهم في السُّجود

•

وقال قيسُ بن الأصم في هذا المعنى :

صلّى الإله على قَومٍ شَهِدْتُهُمُ ،
كانوا ، إذا ذكَروا ، أو ذُكِّروا ، شَهِقُوا

كانوا ، إذا ذكَروا نارَ الجحيم بَكَوا ؛
وإن تَلا بعضُهم تَخْويفها صُعِقوا

من غير هَمْزٍ من الشَّيطانِ يأخذُهم ،
عند التِّلاوة ، إلا الخَوفُ والشَّفَقُ

صَرعى من الحُزن ، قد سَجّوا ثيابَهمُ ،
بقيَّةُ الرُّوح في أوداجهم رَمَق

حتى تَخالهم ، لو كنت شاهِدَهم ،
من شِدَّة الخَوفِ والاشفاق ، قد زَهِقُوا

---

١ الهجود هنا : السهر .

النهي عن كثرة الضحك

في الحديث المرفوع : كَثْرَةُ الضَّحك تُميت القلب وتُذهِب بهاء المُؤمن .

وفيه : لو علمتُمْ لَبَكَيْتُم كثيراً وضَحِكتُم قليلًا .

وفيه : إنّ الله يَكره لكم العَبَث في الصلاة والرَّفَث في الصِّيام والضَّحِك في الجنائز .

•

ومَرَّ الحسنُ بقومٍ يَضحكون في شَهر رَمَضان ، فقال : يا قوم ، إنّ الله جعل رمضان مِضْماراً لِخَلقِه يَتسابقون فيه الى رَحمَتِه ، فسَبَق أقوامٌ ففازوا ، وتخلَّف أقوامٌ فَخابوا ، فالعَجَب من الضاحِكِ اللاّهي في اليوم الذي فاز فيه السابقون ، وخاب فيه المتخلّفون ؛ أما واللهِ لو كُشِف الغِطاء لَشَغَلَ مُحسناً إحسانُه ومُسيئاً إساءتُه .

ونظر عبدُ الله الى رجل يضحك مُستَغْرِقاً ، فقال له : أتضحك ولعلّ أكفانَك قد أُخِذَت من عند القَصّار ؟

وقال الشاعر :

وكم مِن فتًى يُمسي ويُصبِح آمِناً ،
وقد نُسِجَتْ أكفانُه ، وهو لا يَدْري

النهي عن خدمة السلطان

واتيان الملوك

لقي أبو جعفر سُفيانَ الثوريّ في الطواف، فقال: ما الذي يَمنعك أبا عبد الله أن تأتينا ؟

قال: إن الله نهانا عنكم فقال: « وَلا تَركَنُوا الى الذين ظَلَمُوا فَتَمسَّكم النار . »

وقدِم هِشامُ بن عبد الملك المدينةَ لزيارة القبر، فدخل عليه أبو حازم الأعرج، فقال: ما يمنعك أبا حازم أن تأتينا ؟

فقال: وما أصنع بإتيانك يا أمير المؤمنين، إن أَدْنيتني فَتَنتَني، وإن أقصيتني أَخزَيتني، وليس عندي ما أَخافك عليه، ولا عندك ما أرجوك له .

•

قال عمرُ بنُ الخطّاب، رضي الله عنه: مَن دخل على المُلوك خَرج وهو ساخِطٌ على الله .

أَرسل أبو جعفر الى سُفيانَ، فلما دَخل عليه قال: سَلْني حاجتَك أبا عبد الله .

قال : وتَقْضيها يا أمير المؤمنين ؟

قال : نعم .

قال : فإن حاجتي إليك أن لا تُرسل إليّ حتى آتيَك ، ولا تُعطيني شيئاً حتى أسألك .

ثم خرج . فقال أبو جعفر : أَلْقَينا الحَبَّ الى العُلماء فلَقَطوا إلا ما كان من سُفيان الثَّوريّ ، فإنه أعيانا فِراراً .

وقال عمر بن الخطاب، رضي الله عنه: الدُّخولُ على الأغنياء فِتْنةٌ للفُقراء .

•

وقال زيادٌ لأصحابه : مَن أَغبطُ الناس عيشاً ؟

قالوا : الأميرُ وأصحابه .

قال : كلاّ ، إنّ لِأعْواد المِنبر لَهَيْبةً ، ولِقَرع لِجام البريد لَفَزعة ، ولكنّ أغبطَ الناس عيشاً رجلٌ له دار يسكُنُها ، وزوجَة صالحة يأوي إليها في كَفافٍ من عَيْش ، لا يَعْرفنا ولا نَعْرفه ، فإن عَرَفنا وعَرفناه أفسَدْنا عليه آخرته ودُنياه .

•

وقال الشاعر :

إنّ المُلوك بـــلاءٌ حيثُما حَلُّوا ،
فلا يَكُن لك في أكنافِهم ظِلُّ

ماذا تُريد بقَومٍ، إن هُمُ غَضِبُوا
جارُوا عليك، وإن أَرضَيْتَهم مَلكُوا؟

فاستَغْنِ بالله عن إتيانهم أبداً،
إنّ الوقوف، على أبوابهم، ذُلُّ

•

وقال آخر :

لا تَصْحَبَنّ ذوي السُّلطان في عَملٍ،
تُصْبِحْ على وَجَلٍ تُمسي على وَجَلِ

كُلِ الترابَ، ولا تَعْمل لهم عملاً،
فالشرُّ أجْمَعُه في ذلك العَمَل

•

وفي كتاب كليلة ودِمْنة : صاحبُ السلطان مثلُ راكب الأسد لا يَدْري متى يَهيجُ به فيَقْتُله .

•

دخل مالكُ بنُ دِينار على رَجُل في السِّجن يَزوره، فنظر الى رجل جُنديّ قد اتكأ، في رِجلَيه كُبول[1] قد قرَنت بين

---

١ الكبول : القيود، الواحد : كبل .

ساقيه ، وقد أُتي بسُفْرة كثيرة الألوان، فدعا مالكَ بنَ دينار الى طعامه ؛ فقال له : أخشى إن أكلتُ من طعامك هـذا أن يُطْرح في رجليّ مثلُ كُبولك هذه .

•

وفي كتابِ الهِنْد: السلطانُ مثلُ النار ، إن تباعدتَ عنها احتجتَ اليها ، وإن دنوتَ منها أحْرقتك .

•

أيوب السَّخْتياني قال: طُلب أبو قِلابة لِقضاء البَصْرة فهَرب منها الى الشام ، فأقامَ حيناً ثم رَجع . قال أيوب : فقلتُ له: لو وَليتَ القضاء وعدَلْت كان لك أجران .

فقال: يا أيّوب ، إذا وقع السابحُ في البحر كَم عسى أنْ يَسْبح ؟

•

وقال بَقِيّة: قال لي إبراهيم: يا بقيّة ، كن ذنَباً ولا تكن رأساً ، فإنّ الرأسَ يهلك والذَّنَب ينجو .

•

ومن قولنا في خِدمة السلطان وصُحبته :

تجَنَّبْ لِباس الحَزّ ، إنْ كُنْت عاقلًا،
وَلا تَخْتَتِمْ يوماً بفَصٍّ زَبَرْجَدِ

ولا تتطيَّب بالغوالي تعطُّراً،
وتسحبَ أذيالَ الملاءِ المعضَّد[1]

ولا تتخيَّر صيِّتَ النَّعلِ زاهياً؛
ولا تتصدَّر في الفِراشِ المُمهَّد[2]

وكُنْ هَمَلاً في الناس أغبرَ شاعثاً،
تَروحُ وتغدو في إزارٍ وبُرْجُد[3]

يَرى جِلدَ كَبْشٍ، تحتَهُ، كلما استوى
عليْه، سريراً فوقَ صَرْحٍ مُمرَّد[4]

ولا تَطْمَح العينان منك الى امرىءٍ،
له سَطَواتٌ باللِّسان، وباليَد

تَراءتْ له الدُّنيا بزِبْرجِ عَيْشِها،
وقادَتْ له الأطماع من غير مِقْوَدِ[5]

فأسْمَنَ كَشْحَيْهِ، وأهْزلَ دِينَه،
ولم يَرْتَقِب في اليوم عاقبةَ الغد

---

١ المعضد من الثياب : الذي له علم في موضع العضد .
٢ الصيت : ذو الصوت لجدته .
٣ البرجد : كساء غليظ .
٤ الممرد : المسوى ، الملس .
٥ الزبرج : الزينة من وشي ونحوه .

فيوماً تراهُ تحت سَوْطٍ مُجَرَّداً؛
ويوماً تَراه فوق سَرْجٍ مُنَضَّد

فَيُرْحَمُ تاراتٍ ، ويُحْسَدُ تارةً،
فذا شرُّ مَرْحوم وشَرُّ مُحَسَّد

القول في الملوك

الأصمعيّ قال : بَلغني أنّ الحسن قال : يابن آدم ، أنت أسيرُ الجُوع ، صَريع الشِّبَع ، إنّ قوماً لبِسوا هذه المَطارف العتاق ، والعَمائم الرِّقاق ، وَوسَّعوا دُورَهم ، وضيَّقوا قبورهم ، وأسمنوا دوابَّهم ، وأهْزلوا دِينَهم ، يَتّكىء أحدُهم على شِماله ، ويأكل مِن غير ماله ، فإذا أدركته الكِظّة قال : يا جارية ، هاتي هاضُومَك ، ويلك ! وهل تَهْضِم إلا دِينَك ؟

•

يحيى بنُ يحيى قال : جَلس مالكٌ يوماً فأطرقَ مليّاً ، ثم رفع رأسَه فقال : يا حَسْرةً على المُلوك ، لأنهم تُركوا في نَعيم دُنياهم ، وماتوا قبل أن يَمُوتوا حُزناً على ما خَلّفوا ، وجَزَعاً مما استقبلوا .

•

وقال الحسن ، وذُكِر عنده الملوك : أما إنّهم وإنْ هَمْلَجت[1] بهم البِغال ، وأطافت بهم الرِّجال ، وتعاقبت لهم

---

١ هملجت : مشت مشية سهلة في سرعة .

الأموال، إنّ ذُلّ المَعْصية في قُلوبِهم، أبى الله إلا أن يُذِلّ مَن عَصاه .

•

الأصمعيُّ قال: خَطَبَ عبدُ الله بن الحسَن على مِنْبر البَصرة فأنشد على المِنبر :

أينَ المُلوك التي عَن حَظّها غَفِلت،
حتى سَقاها، بِكأس المَوْت، ساقِيها؟

•

بلاء المؤمن في الدنيا

قال النبيُّ ، صلّى الله عليه وسلّم : المؤمن كالخامَة[1] من الزّرع تَميل بها الرّيح مرة كذا ومرة كذا ، والكافر كالأرْزَة المُجْذِية[2] حتى يكون انجعافُها[3] مرّة .

ومعنى هذا الحديث : تردُّد الرزايا على المؤمن وتجافيها عن الكافر ليزداد إثماً .

وقال وَهْب بنُ مُنَبِّه : قرأتُ في بعض الكُتب : إني لأذودُ عبادي المخلصين عن نَعيم الدُّنيا كما يذُود الرّاعي الشّفيقُ إبلَه عن مَوارد الهَلَكة .

وقال الفُضَيل بن عِياض : ألا تَرَوْنَ كيف يُزوِي الله الدنيا عمن يُحب من خَلْقه ويُمَرمرها[4] عليه مرّةً بالجوع ومرّة بالعُري ومرّة بالحاجة ، كما تصنع الأمّ الشّفيقة بولدها ، تَفطِمه

---

١ الخامة : الغضة .

٢ المجذية : الثابتة .

٣ انجعافها : انقلاعها .

٤ يمرمرها : يجيزها ويعديها .

بالصَّبرِ مرّة ، وبالحُضَض[1] مرّة ، وإنما تريد بذلك ما هو خيرٌ له .

•

وفي الحديث : إن النبي ، صلّى الله عليه وسلّم ، قال : أخبرني جبريل عن الله، تبارك وتعالى، أنه قال: ما ابتَليتُ عَبْدي ببليّة في نفسه أو ماله أو ولده فتلقّاها بصَبر جميل إلاّ استحييت يوم القيامة أن أرفَع له ميزاناً أو أنشر له ديواناً .

•

---

١ الحضض : عصارة نبات مر .

كتمان البلاء اذا نزل

قال النبيّ ، صلّى الله عليه وسلّم : من ابتُلي ببلاء فكتَمَه ثلاثة أيام صبراً واحتساباً كان له أجرُ شهيد .

•

وسمِع الفُضَيل بن عياض رجلًا يشكو بلاءً نَزَل به ، فقال : يا هذا ، تشكو مَن يَرحَمُك الى مَن لا يَرحمك !

وقال: مَن شكا مُصيبةً نزَلت به فكأنما شكا ربَّه .

•

وقال دُرَيد بن الصِّمَّة يَرْثي أخاه عبد الله بن الصِّمَّة :

قليلَ التَّشَكّي للمصائب ، ذاكراً ،
من اليوم ، أعقابَ الأحاديثِ في غَدِ

•

وقال تأبَّطَ شرّاً :

قليلَ التشكّي للمُلِمّ يُصيبه ،
كثيرَ النَّوى ، شتّى الهوى والمَسالِكِ

•

الشَّيبانيّ قال : أخبرني صديقٌ لي قال : سَمِعَني شُريح وأنا

أشتكي بعض ما غمّني الى صديق لي ، فأخذ بيدي وقال : يابن أخي ، إياك والشكوى الى غير الله ، فإنه لا يخلو من تشكو إليه أن يكون صديقاً أو عدوّاً ، فأما الصديق فتحزنه ولا ينفعك ، وأما العدوّ فيشمت بك .

انظر الى عيني هذه ، وأشار الى إحدى عينيه ، فوالله ما أبصرتُ بها شخصاً ولا طريقاً منذُ خمسَ عشرةَ سنة ، وما أخبرتُ بها أحداً الى هذه الغاية، أما سمعت قول العبد الصالح : « إنما أشكو بثّي وحزني الى الله » ؟ فاجعله مشكاك ومفزعك عند كل نائبة تنوبك ، فإنه أكرمُ مسؤول ، وأقربُ مدعوٍّ إليك .

•

كتب عقيل الى أخيه عليّ بن أبي طالب، رضوانُ الله عليهما، يسألهُ عن حاله ، فكتب إليه :

فإن تسألني كيفَ أنت ، فإنني
جليدٌ على رَيْبِ الزّمان ، صَليبُ

عزيزٌ عليَّ أنْ ترى بي كآبةٌ ،
فيفْرَحَ واشٍ ، أو يُساءَ حبيب

•

وكان ابن شُبرُمة إذا نزلتْ به نازلةٌ قال : سحابة صَيْف عن قليل تَقَشَّع .

•

وكان يُقال : أَرْبع من كُنوز الجنَّة : كِتمان المُصيبة ، وكِتمان الصَّدقة ، وكِتمان الفاقة ، وكِتمان الوجَع .

•

القناعة

قال النبيُّ، صلى الله عليه وسلم: من أصبح وأمسى آمناً في سِرْبه مُعافًى في بَدنه عنده قوتُ يومه كان كمن حِيزَتْ له الدُّنيا بحذافيرها.

السِّرب: المَسْلَك؛ يقال: فلان واسع السِّرب، يعني المسلك والمذهب.

•

وقال قيس بن عاصم: يا بَنيّ، عليكم بحِفظ المال فإنه مَنبَهَةٌ للكريم، ويُستَغْنى به عن اللئيم. وإياكم والمسألةَ، فإنها آخِر كَسْب الرَّجُل.

•

وقال سعد بن أبي وقّاص لابنه: يا بُنيّ، إذا طلبتَ الغِنى فاطْلُبهُ بالقَناعة، فإنها مالٌ لا يَنفَد؛ وإياك والطمعَ، فإنه فَقر حاضر؛ وعليك باليأس، فإنك لا تيْأس من شيء قطُّ إلا أغناك الله عنه.

•

وقالوا: الغَنيُّ من استغنى بالله، والفقيرُ من افتقر الى الناس.

•

وقالوا : لا غنى إلا غنى النّفس .

•

وقيل لأبي حازم : ما مالُك ؟

قال : مالان ، الغِنى بما في يدي عن الناس ، واليأسُ عما في أيدي الناس .

•

وقيل لآخر : ما مالُك ؟

فقال : التجمُّل في الظاهر ، والقَصْد في الباطن .

•

وقال آخر :

لا بُدَّ ممَّا ليس منه بدٌّ ، اليأسُ حُرٌّ والرجاءُ عَبْدُ

وليس يُغْني الكَدُّ إلا الجَدُّ

•

وقالوا : ثمرةُ القناعة الرَّاحة ، وثمرةُ الحِرْص التعب .

•

وقال البحتري :

إذا ما كان عندي قُوتُ يومٍ ، طَرَحْتُ الهمَّ عنّي ، يا سعيدُ

ولم تَخْطُر هُمومُ غدٍ ببالي ، لأنَّ غداً له رِزْقٌ جديد

•

وقال عُروة بن أُذَيْنة :

وقد عَلِمتُ، وخَيْرُ القولِ أَصْدَقُه،
بأنَّ رِزقي ، وإنْ لم يَأتِ ، يأتيني
أسْعى اليه فَيُعييني تَطَلُّبه،
ولو قعدتُ أتاني لا يُعَنِّيني

•

ووفد عُروة بن أُذَيْنة على عبد الملك بن مَروان في رجال من أهل المدينة ، فقال له عبد الملك : ألستَ القائلَ يا عُروَة:

أسْعى اليه فَيُعْييني تَطلُّبه؟

فما أراك إلا قد سعيتَ له .

فخرج عنه عُروة وشخص من فَورِه الى المدينة . فافتقده عبدُ الملك، فقيل له: توجّه الى المدينة؛ فبَعث اليه بألف دينار. فلما أتاه الرسول قال: قُل لأمير المؤمنين: الأمرُ على ما قلت، قد سَعيتُ له فأعياني تطلُّبه ، وقعدتُ عنه فأتاني لا يُعنِّيني.

•

وقال النبيُّ ، صلى الله عليه وسلم : إنّ رُوح القُدس نفَثَ في رُوعي أنَّ نفساً لن تموت حتى تَستَوفي رِزقَها، فاتّقوا اللهَ وأجْمِلوا في الطَّلب .

•

وقال تعالى فيما حُكي عن لُقمان الحكيم : « يا بُنيَّ إنّها إن تَكُ مِثقالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فتَكُنْ في صَخْرَةٍ أوْ في السَّمَواتِ أوْ في الأرْضِ يَأتِ بها اللهُ إنّ اللهَ لطيفٌ خَبير. »

•

وقال الحسن : ابنَ آدمَ ، لستَ بسابقٍ أجَلَك، ولا ببالغ أمَلَك ، ولا مَغلوبٍ على رِزقِكَ ، ولا بمرزوق ما ليس لك ، فعلامَ تَقْتل نفسَك ؟

•

وقال ابنُ عبد ربه : قد أخذتُ هذا المعنى فنظمتُه في شعر فقلت :

لستُ بقاضٍ أمَلي ، ولا بعادٍ أجَلي
ولا بمَغْلُوبٍ على الرِّزْ قِ ، الذي قُدِّرَ لي
ولا بمُعطىً رِزْقَ غَيْ ري بالشَّقا ، والعَمَل
فليتَ شِعري ما الذي أدخَلني في شُغْلي؟

•

وقال آخر :

سيكون الذي قُضِي ، غَضِبَ المرءُ أمْ رَضِي

•

وقال محمودٌ الورّاق :

أما عجبٌ أن يَكفُلَ الناسُ بَعضَهُم
ببعضٍ ، فيرضى بالكفيلِ المُطالِبُ

وقد كفل اللهُ الوَفيّ بعَهْدِه،
فلم يَرْضَ ، والإنسانُ فيه عجائب[1]

عليمٌ بأنّ اللهَ مُوفٍ بوَعْدِه،
وفي قَلْبِه شَكٌّ على القَلْبِ دائب

أبى الجهلُ إلا أن يَضُرَّ بِعِلْمِه،
فلم يُغْنِ عَنْه عِلْمُه والتّجارب

وله أيضاً :

أتطلُبُ رِزْقَ اللهِ من عند غيرِه،
وتُصْبح من خوفِ العواقِبِ آمِنا

وترضى بَعرّافٍ ، وإنْ كان مُشْرِكاً،
ضَميناً ، ولا ترضى بربّكَ ضامنا؟

وقال أيضاً :

غِنى النّفْسِ يُغْنيها، إذا كنْتَ قانِعاً،
وليسَ بمُغْنِيكَ الكثيرُ من الحِرْص

---

١ لم يرض : الضمير يعود الى المطالب في البيت السابق .

وإنّ اعتقادَ الهمّ للخيرِ جامعٌ،
وقِلّةَ هَمّ المَرْءِ تَدْعُو الى النّقص

وله أيضاً :

مَن كان ذا مالٍ كثيرٍ وَلم يَقْنَعْ، فذاك المُوسِرُ المُعْسِرُ
وكلُّ من كان قَنوعاً، وإنْ كان مُقِلاً، فهُو المُكْثِرُ
الفَقرُ في النّفس، وفيها الغِنى، وفي غِنى النّفس الغِنى الأكبر

•

وقال بَكْر بن حَمّاد :

تبارك مَن ساسَ الأمورَ بعِلْمه،
وذلّ له أهلُ السّموات والأرضِ

ومَن قسّمَ الأرزاق بين عِباده،
وفضّلَ بعضَ النّاس فيها على بعض

فمن ظَنّ أنّ الحِرْص فيها يَزيدُه،
فقُولوا له يزداد في الطول والعَرْض

•

وقال ابن أبي حازم :

ومُنتَظِرٍ للموت في كل ساعةٍ،
يَشيدُ ويَبْني، دائباً، ويُحَصّنُ

له حـــينَ تَبْلُوه حقيقةُ مُوقِنٍ،
وأفعالُه أفعـالُ من ليس يُوقِن

عِيانٌ كإنكارٍ، وَكالجهْـلِ عِلمُـه،
يَشُكّ بـه في كلّ مـا يَتيقّن

وقال أيضاً :

اضْرَع الى الله لا تَضْرَع الى النّاسِ؛
واقنَعْ بيـأسٍ فإنّ العِزّ في الياسِ

واستَغنِ عن كل ذي قُربى وذي رَحِم؛
إنّ الغَنيّ مَنِ استَغنى عن النـاس

وله أيضاً :

فلا تَحْرِصَنّ، فإن الأمور، بكَفّ الإله، مَقاديرُهـا
فليسَ بآتيـك منْهيُّها، ولا قاصرٍ عنـك مأمُورها

وله أيضاً :

كم، الى كم أنت، للحِرْ ص وَلـلآمال، عَبْـدُ
ليس يُجدي الحِرصُ والسَّعْـ ـيُ، إذا لم يَكُ جَـدُّ
ما، لمـا قد قَدَّرَ اللّـ ـهُ مِـن الأمر، مَرَدّ
قد جرى بالشرّ نَحْسٌ؛ وجَرى بالخَير سَعْـد

وجرى النـاسُ على جَرْ ... يِهِما ، قَبْـلُ وبَعْد

أَمِنوا الدهرَ ، ومـا للدّ ... هرِ والأيّام عَهْـد

غالَهُم ، فاصطَلَم الجمْ ... عَ ، وأفْنى ما أعَـدُّوا[1]

إنّها الدنيا ، فـلا تَحْ ... فِل بهـا ، جَزْرٌ ومَدّ

•

وقال الأضبَطُ بن قُرَيع :

ارضَ من الدّهر ما أتاكَ به ، ... مَن يَرِضَ يَوماً بعَيشِهِ نَفَعَهْ

قد يَجْمع المالَ غيرُ آكله ؛ ... ويأكلُ المالَ غيرُ مَن جَمَعَه

•

وقال مُسلم بن الوليد :

لن يُبْطِىءَ الأمرُ ما أمَّلتَ أوبتَه ،
إذا أعانَكَ فيـه رِفْقُ مُتَّئِدِ

والدَّهْرُ آخِذُ ما أعطى ، مُكدِّرُ ما
أَصْفى ، ومُفْسِدُ مـا أهوى له بيَد

---

١ اصطلم : استأصل .

فلا يَغُرَّنْك من دَهْرٍ عَطيَّتُهُ،
فليس يَترُكُ ما أعطى على أحد

•

وقال كُلْثوم العَتَّابي :

تَلُومُ، على تَرك الغِنى، باهِليَّةٌ
لوى الدهرُ عنها كلَّ طِرْفٍ وَتالِد[1]

رأت حولها النسوانَ يَرفُلنَ في الكُسى،
مُقلَّدَةً أجيادُها بالقلائد

يَسُرُّكِ أني نِلْتُ ما نالَ جَعْفَرٌ؛
وما نال يحيى، في الحياة، ابن خالد

وأنّ أمير المؤمنين أعضَّني،
مُعَضَّهُما، بالمُرْهَفات الحدائد[2]

ذَريني تَجِئْني مِيتتي مُطمَئِنَّة،
ولم أتَجَشَّم هَول تلك المَوارِد

فإنّ الذي يَسمو الى الرُّتَب العُلا،
سيُرمى بألوان الدُّهى والمَكايد

---

١ الطرف : المال الطارف والحديث . التالد : المال الموروث .

٢ أعضه بالسيف : ضربه به .

وَجَدتُ لَذاذاتِ الحياة مَشُوبَةً
بمُستودعات في بطـــون الأساوِدِ

وقال :

حتى متى أنا في حِلٍّ وتَرحـــالِ ،
وطُولِ شُغْلٍ بإدبارٍ وإقبـــالِ

ونازح الدار مـــا أنفكُّ مُغتَرباً
عن الأحبَّة ، ما يَدْرُون مـــا حالي

بِمَشْرِق الأرض، طَوراً، ثم مَغْرِبها،
لا يَخْطُر الموت من حِرْص على بالي

ولو قَنِعْتُ أتاني الرِّزق في دَعَةٍ؛
إنّ القُنوع الغِنى ، لا كثرةُ المال

•

وقال عبدُ الله بن عباس : القناعة مالٌ لا نَفاد له .

•

وقال عليُّ بنُ أبي طالب ، رضي الله عنه : الرِّزق رِزقان: فرزقٌ تطلبه ورزقٌ يطلبك ، فإن لم تأتِه أتاك .

•

وقال حبيب :

فالرّزق لا تَكْمَدْ عليه ، فإنه يأتي ، ولم تَبْعث اليه رسولا

•

وفي كتاب للهند: لا ينبغي للمُلتمس أن يَلتمس من العيش إلا الكَفاف الذي به يَدفع الحاجة عن نَفسه، وما سِوى ذلك إنما هو زيادة في تعَبه وغمّه .

ومن هذا قالت الحكماء : أقلُّ الدنيا يَكْفي وأكثرُها لا يَكفي .

•

وقال أبو ذُؤيب :

والنَّفْسُ راغبةٌ ،إذا رَغَّبْتَها، وإذا تُرَدُّ الى قليلٍ تَقْنَعُ

•

وقال المسيح ، عليه السلام : عجباً منكم ، إنكم تعملون للدُّنيا وأنتم تُرزقون فيها بلا عمل، ولا تَعْملون للآخرة وأنتم لا تُرزقون فيها الا بالعمل .

وقال الحسن : عَيَّرَت اليهودُ عيسى ، عليه السلام، بالفَقْر، فقال : مِن الغنى أُتيتم .

أخذ هذا المعنى محمودٌ الورّاق فقال :

يا عائبَ الفَقْرِ ألا تَزْدَجِر؟ عَيْبُ الغِنى أكْثَرُ لو تَعْتبرْ

مِن شَرَفِ الفَقْرِ، ومن فَضْلِه على الغِنى، إن صَحَّ منك النَّظر
أنك تَعْصي كي تنالَ الغِنى، وليس تَعصي اللهَ كي تَفتَقِر

•

سُفيان عن مُغيرة عن إبراهيم قال: كانوا يَكرَهون الطَّلب في أطارف الأرض.

•

وقال الأعمش: أعطاني البُنانيُّ مَضارِبه أخرُج بها الى ماه[1]، فسألتُ إبراهيم، فقال لي: ما كان يَطلبون الدنيا هذا الطلب. وبين ماهٍ وبين الكوفة عشرةُ أيام.

•

الأصمعيّ عن يونس بن حَبيب قال: ليس دون الإيمان غنى ولا بعده فَقْر.

•

قيل لخالد بن صَفوان: ما أصْبَرَكَ على هذا الثَّوْب الخَلَق؟ قال: رُبَّ مَملولٍ لا يُستطاع فِراقه.

•

وكتب حكيم الى حكيم يشكو اليه دهرَه: إنه ليس من أَحَدٍ أنْصَفه زمانُه فتصرَّفت به الحالُ حسب استحقاقه، وإنك لا تَرى الناسَ إلا أحدَ رجلين: إمّا مُقدَّم أخّره حظه، أو

---

١ ماه: بلدة.

مُتأخّر قدَّمَه جَدُّه ، فارض بالحال التي أنت عليها وإن كانت دون أملك واستحقاقك اختياراً ، وإلا رضيت بها اضطراراً .

•

وقيل للأحنف بن قيس : ما أصبرك على هذا الثوب؟ فقال : أحقُّ ما صُبر عليه ما ليس إلى مُفارقته سَبيل .

•

قال الأصمعيُّ : رأيت أعرابيةً ذات جمال تسأل بِمِنى ، فقلت لها : يا أمَة الله تسألين ولك هذا الجمال ؟

قالت : قَدَرُ الله فما أصنع ؟

قلت : فمن أين معاشكم ؟

قالت : هذا الحاجّ ، نسْقيهم ونغسل ثيابهم .

قلت : فإذا ذهب الحاجّ فمن أين ؟

فنظرت إليّ وقالت : يا صَلْت الجبين[1] ، لو كنّا نعيش من حيث نعلم ما عِشْنا .

•

وقيل لرجلٍ من أهل المدينة : ما أصْبرَك على الخُبز والتّمْر؟ قال : ليتَهما صَبَرا عليّ .

---

١ صلت الجبين : واضحه .

الرضا بقضاء الله

قالت الحكماء : أصلُ الزُّهد الرِّضا عن الله .

•

وقال الفُضيل بن عِياض : استَخيِروا الله ولا تتَخيَّروا عليه ، فربَّما اختار العبدُ أمراً هلاكُه فيه .

•

وقالت الحكماء : رُبَّ مَحْسود على رَخاء هو شَقاؤه ، ومَرحوم من سُقم هو شِفاؤه ، ومَغْبوط بنِعْمة هي بَلاؤه .

•

وقال الشاعر :

قد يُنعِم الله بالبَلْوى، وإن عَظُمَتْ،
وَيبْتَلي اللهُ بَعْضَ القوم بالنِّعَمِ

•

وقال بعضُهم : خاطَبني أخٌ من إخواني وعاتبني في طلب الرُّتَب ، فأنشدته :

كم افتقرتُ ، فلم أقعُد على كَمَدِ ؛
وكم غَنِيتُ ، فلم أكْبُر على أحَدِ

إني امرؤ هانت الدنيا عليَّ، فمـــا
أشتاق فيها الى مـــالٍ ولا وَلَدِ

وقالوا : من طَلب فـــوق الكفاية رجع من الدَّهر الى أبعد غاية .

•

من قتر على نفسه

وترك المال لوارثه

زياد عن مالك قال : مَن لم يكُن فيه خيرٌ لنفسه لم يَكُن فيه خيرٌ لغيره ، لأن نفسَه أولى الأنفُس كُلِّها ، فإذا ضيَّعها فهو لما سِواها أضيَع ؛ ومن أحبَّ نفسه حاطها وأبقى عليها وتَجَنَّب كلَّ ما يَعيبها أو يَنْقُصها ، فَجنَّبها السَّرِقة مَخافةَ القَطْع ، والزِّنى مخافةَ الحَدّ ، والقَتْل خوفَ القِصاص .

•

عليُّ بن داود الكاتِب قال : لما افتتح هارون الرَّشيدُ هِرَقْلة[1] أباحها ثلاثة أيّام ، وكان بِطْريقها الخارجُ عليه بَسِيل الرُّومي ، فنظر إليه الرَّشيدُ مُقبِلًا على جِدار فيه كتابة باليُونانية ، وهو يُطِيل النظَر فيه ، فدَعا به وقال له : لِمَ تركتَ النظر الى الانتهاب والغَنيمة وأقبلت على هذا الجدار تنظر فيه ؟

---

١ هرقلة : مدينة ببلاد الروم .

فقال : يا أمير المؤمنين ، قرأتُ في هذا الجدار كتاباً هو أحبُّ إليّ من هِرَقْلة وما فيها .

قال له الرشيد : ما هو ؟

قال : بسمِ الله الملكِ الحقِّ المُبين . ابنَ آدم ، غافِص[1] الفُرصة عند إمكانها ، وكِلِ الأمور الى وليِّها ، ولا تَحمِل على قلبك هَمَّ يومٍ لم يأتِ بعدُ ، إنْ يَكُن من أجَلِكَ يأتِكَ الله بِرِزْقك فيه ، ولا تَجْعَلْ سَعْيَك في طلب المال أُسوة بالمَغْرورين ، فرُبَّ جامع لِبَعْل حَليلته ، واعلم أنّ تقتير المرء على نَفْسه هو تَوفيرٌ منه على غيره ، فالسعيدُ من اتعظ بهذه الكلمات ولم يُضيِّعها .

قال له الرَّشيد : أعِدْها عليَّ يا بَسيل ؛ فأعادَها عليه حتى حَفِظها .

•

وقال الحسن : ابنَ آدم ، أنتَ أسيرٌ في الدنيا ، رَضِيتَ من لذّتها بما ينْقضي ، ومن نَعيمها بما يَمضي ، ومن مُلكها بما يَنْفد ، فلا تَجمع الأوزار لِنَفسك ولأهلِك الأموال ، فإذا مِتّ حملتَ الأوزار الى قَبرك ، وتركتَ أموالَك لأهلك .

---

١ غافص : فاجىء .

أخذ أبو العتاهية هذا المعنى فقال :

أَبْقَيْتَ مالَك مِيراثاً لوارِثه ،
فليتَ شِعْرِيَ مـــا أبقى لك المالُ

القومُ بعـــدك في حالٍ تَسرُّهمُ ،
فكيفَ بَعدهم دارت بك الحـال ؟

مَلُّوا البُكاء ، فما يَبْكيك من أحد ؛
واستَحْكَمَ القِيلُ في الميراث والقال

•

وفي الحديث المرفوع : أَشدُّ الناس حَسْرةً يوم القيامة رجلٌ كَسب مالاً من غير حِلّه فدخلَ به النارَ ، وورَّثه مَن عَمِل فيه بطاعة الله فَدَخل به الجنة .

•

وقيل لعبد الله بن عُمر : تُوفّي زيد بن حارثة وترك مائة ألف ؛ قال : لكنَّها لا تَتركه .

•

ودَخل الحسنُ على عبد الله بن الأهتم يَعوده في مَرضه فرآه يُصَعِّد بصرَه في صُندوق في بَيْته ويُصَوِّبه ، ثم التفت الى الحسن ، فقال : أبا سَعيد ، ما تقول في مائة ألف في هذا الصُّندوق لم أُؤَدِّ منها زكاة ، ولم أصِل بها رحِماً ؟

فقال له : ثَكِلَتْكَ أُمّك ! ولمن كنت تجمعها ؟

قال : لِروعة الزمان ، وجَفوة السلطان ، ومكاثرة العشيرة .

ثم مات ، فشَهِد الحسنُ جِنازَته ، فلما فرَغ من دَفْنه ضرَب بيده القَبر ، ثم قال : انظُروا الى هذا ، أتاه شيطانُه فحَذّره رَوعة زمانه ، وجفوة سُلطانه ، ومُكاثرة عشيرته ، عما استودعه الله واستعمره فيه ، انظُروا إليه يَخرُج منها مَذمُوماً مَدْحُوراً .

ثم قال : أيها الوارث ، لا تُخدَعَنّ كما خُدِعَ صُوَيْحبك بالأمس ، أتاك هذا المالُ حَلالاً فلا يكونُ عليك وَبالاً ، أتاك عَفْواً صَفْواً ممن كان له جَموعاً مَنوعاً ، من باطلٍ جَمَعه ، ومن حقٍّ مَنَعه ، قَطع فيه لُجج البحار ، ومَفاوز القِفار ، لم تَكدح فيه بيَمين ، ولم يَعْرق لك فيه جَبين ، إنّ يوم القيامة يومُ حَسْرة وندامة ، وإن من أعظم الحَسرات غداً أن تَرى مالَك في ميزان غيرك ، فيا لها حسرةً لا تُقال ، وتوبةً لا تُنال !

•

لما حَضَرَتْ هِشامَ بن عبد الملك الوفاةُ ، نظَر الى أهله يَبْكون عليه ، فقال : جاد لكم هشام بالدُّنيا وجُدتم له بالبُكاء ، وترك لكم ما جَمع وتركْتُم له ما عَمِل ، ما أعظمَ مُنقلَب هشام إن لم يَغْفر الله له !

نقصان الخير وزيادة الشر

عاصم بن حُميد عن مُعاذ بن جَبَل قال : إنكم لن تَرَوْا من الدنيا إلا بلاءً وفِتْنة ، ولا يزيد الأمر إلا شِدَّة ، ولا الأئِمّة إلا غِلَظاً ، وما يأتيكم أمرٌ يَهُولُكُم إلا حقّرَه ما بعده .

•

قال الشاعر :

الخَيرُ والشرُّ مُزدادٌ ومُنتقَصٌ ،
فالخيرُ مُنتقَصٌ والشرُّ مُزدادُ

وما أُسائل عن قَومٍ عرَفْتُهُمُ ،
ذوِي فَضائلَ ، إلا قيل قد بادوا

•

العزلة عن الناس

قال النبيُّ ، صلى الله عليه وسلم : استأنِسوا بالوَحدة عن جُلساء السوء .

وقال : إنّ الإسلام بدأ غريباً ولا تقوم الساعةُ حتى يعود غريباً كما بدأ .

•

قال العتّابي : ما رأيتُ الراحةَ إلا مع الخَلْوة ، ولا الأنس إلا مع الوحشة .

•

وقال النبي ، صلى الله عليه وسلم : خيركم الأتقياء الأصفياء الذين إذا حضروا لم يُعْرَفوا ، وإذا غابوا لم يُفتقَدوا .

وقال : لا تَدَعوا حظَّكم من العُزْلة فإنّ العُزلة لكم عبادة .

•

وقال لُقمان لابنه : استَعِذ بالله من شِرار الناس وكُن من خِيارهم على حَذَر .

•

وقال إبراهيم بن أدْهم : فِرّ من الناس فِرارَك من الأسد .

وقيل لابراهيم بن أدهم : لِمَ تَجْتنب الناس ؟ فأنشأ يقول :

ارْضَ بالله صاحبَـــا ، وَذَرِ الناس جانبَـــا
فَلَكَّ الناسَ ، كيف شِئْـ تَ ، تَجِـــدْهم عَقارِبا

•

وكان محمد بن عبد الملـــك الزيّات يأنَسُ بأهل البَلادة ويَسْتوحش من أهل الذكاء ، فسُئِل عن ذلك ، فقال : مَؤونة التحفُّظ شديدة .

•

وقال ابنُ مُحَيْرِز : إن استطعتَ أن تَعرف ولا تُعرَف ، وتَسأل ولا تُسأل ، وتمشي ولا يُمشى إليك ، فافعل .

•

وقال أيوب السِّختياني : ما أحب الله عبداً إلا أَحب أن لا يُشْعَر به .

•

وقيل للعتّابي : من تُجالس اليوم ؟
قال : من أَبْصَق في وجهه ولا يَغضَب .
قيل له : ومن هو ؟
قال : الحائط .

•

وقيل لِدِعْبل الشاعر : ما الوَحْشة عندك ؟

قال : النظر الى الناس ؛ ثم أنشأ يقول :

ما أكثرَ الناسَ ، لا بَلْ ما أقلَّهم ؛
الله يَعْلَم أني لم أقُـلْ فَنَدَا

إني لأفتَح عَيْنِي ، حين أفتَحُها ،
على كثيرٍ ولكن لا أرى أحـدا

•

وقال ابن أبي حازم :

طِب عن الإمرة نَفْسا ، وارضَ بالوَحْشَة أُنسا
ما عليها أحـدٌ يَسْـ ـوَى ، على الحِبرة ، فَلْسا

•

وقال آخر :

قد بلوتُ الناسَ طُرًّا ، لم أَجِد في النَّاس حُرًّا
صارَ أحلى الناسِ في العَـ ـين ، إذا ما ذِيق ، مُرًّا

•

اعجاب الرجل بعلمه

قال عمر بنُ الخطّاب : ثلاث مُهلِكات : شُحّ مُطاع ، وهوًى مُتَّبَع ، وإعجاب المرء بنَفسه .

•

وفي الحديث : خيرٌ من العُجْب بالطاعة أن لا تأتي طاعةً .

•

وقالوا: ضاحكٌ مُعْترِف بذنْبه خيرٌ من باكٍ مُدلّ على ربّه.

•

وقالوا : سيّئة تُسيئك خيرٌ من حَسنة تُعجِبك .

•

وقال الله، تَبارك وتَعالى : « ألم تَرَ الى الّذين يُزَكّونَ أنفُسَهم بَلِ اللهُ يُزَكّي مَن يَشاء . »

•

وقال الحسن : ذَمُّ الرجلِ لنفسه في العَلانية مَدْحٌ لها في السَّريرة .

•

وقالوا : مَن أظهر عَيْبَ نفسه فقد زَكّاها .

•

وقيل : أوحى الله الى عبده داود : يا داود، خالِقِ الناسَ

بأخلاقهم ، واحتَجِز الايمان بيني وبينك .

•

وقال ثابت البُنانيّ : دخلتُ على داود ، فقال لي : ما جاء بك ؟

قلتُ : أزورك .

قال : ومن أنا حتى تزورَني ؟ أمِن العُبّاد أنا ؟ لا والله ، أم من الزهّاد ؟ لا والله .

ثم أقبل على نفسه يوبّخها، فقال: كنتُ في الشّبيبة فاسقاً، ثم شِبتُ فصِرت مُرائياً ، والله إنّ المُرائي شرّ من الفاسق .

•

لقي عابدٌ عابداً ، فقال أحدُهما لصاحبه : والله إني أُحبّك في الله .

قال : والله لو اطّلعتَ على سَريرتي لأبْغَضْتني في الله .

•

وقال معاوية بنُ أبي سُفيان لرجل : مَن سيّد قومك ؟

قال : أنا .

قال : لو كنتَ كذلك لم تَقُله .

•

وقال محمود الورّاق :

تَعْصي الإله، وأنت تُظهر حُبَّه، هذا مُحالٌ في القياس بَديعُ

لو كنتَ تُضْمِر حُبَّه لأطَعتَه؛ إنّ المُحِبَّ لمن أحَبَّ مُطيع

في كل يومٍ يَبْتليك بنِعْمةٍ منه، وأنت لشُكْر ذاك مُضيع

الرياء

زيادٌ عن مالك قال: قال النبيُّ ، صلى الله عليه وسلم: إياكم والشِّركَ الأصغر .

قالوا : وما الشِّرك الأصغر يا رسول الله ؟

قال : الرِّياء .

•

وقال عبدُ الله بنُ مسعود : سمعتُ النبيَّ ، صلى الله عليه وسلم ، يقول : لا رِياء ولا سمعة ، من سَمَّع سَمَّع الله به .

•

وقال صلى الله عليه وسلم : ما أَسرَّ امرؤٌ سريرةً إلا ألبسه الله رِداءها ، إن خيراً فخيرٌ ، وإن شرّاً فشرّ .

•

وقال لقمان الحكيم لابنه : احذر واحدةً هي أهلٌ للحذر.

قال : وما هي ؟

قال: إياكَ أن تُريَ الناس أنك تَخْشى الله وقلبُك فاجر.

•

وفي الحديث : من أصلح سريرَته أصلح الله علانيَته .

•

وقال الشاعر :

وإذا أظْهرتَ شيئاً حَسناً ، فلْيكُن أحسنَ منه ما تُسِرّ

فمُسِرُّ الخير مَوْسومٌ به ؛ ومُسِرُّ الشرّ مَوسوم بِشَرّ

•

صلى أشعب ، فخفّف الصلاة، فقيل له : ما أخَفّ صلاتَك! قال : إنه لم يُخالِطْها رياء .

•

وصلى رجلٌ من المُرائين ، فقيل له : ما أحسنَ صلاتك ! فقال : ومع ذلك إني صائم .

•

وقال طاهرُ بن الحُسين لأبي عبد الله المَرْوزيّ : كم لك منذ نزلتَ بالعِراق ؟

قال: منذُ عشرين سنةً، وأنا أصوم الدهر منذُ ثلاثين سنة.

قال : أبا عبد الله ، سألتُك عن مسألة فأجبتني عن مسألتين.

•

الأصمعيُّ قال : أخبرني إبراهيمُ بن القَعقاع بن حَكيم، قال: امر عمر بن الخطّاب لرجلٍ بكِيس، فقال الرجُل: آخُذ الخيْط؟ قال عمر : ضَع الكيس .

•

قال رجل للحسن ، وكتب عنده كتاباً : أتجعلني في حِلّ من تراب حائطك ؟

قال : يابن أخي ، ورَعُك لا يُنكر .

•

وقال محمود الورّاق :

أظْهَرُوا للنّاس دِيناً ، وعلى الدّينار داروا
وله صامُوا وصلّوا ؛ وله حَجُّوا وزاروا
لو بَدا فوق الثُّريّا ، ولهم رِيشٌ ، لطاروا

•

وقال مُساور الورّاق :

شمِّر ثِيابَك واستعدَّ لقائلٍ ، واحكُك جبينَك للقَضاء بثُوم[1]
وعليك بالغَنَويّ ، فاجلس عنده ، حتى تُصِيب وَديعةً لِيَتيم
وإذا دخلتَ على الربيع مسلِّماً ، فاخصُص سَيابةَ منك بالتّسليم

وقال :

تصوَّفَ كيْ يُقال له أمين ، وما يَعْني التّصوُّفَ والأمانَهْ

---

١ اراد بالقائل : من يقول الخير. احكك جبينك بثوم: تظاهر بكثرة السجود ليترك أثراً في جبينك .

ولم يُرد الإلهَ به ، ولكنْ أراد به الطريقَ الى الحِيانه

•

وقال الغَزّال :

يقولُ لِيَ القاضي مُعاذٌ مُشاوراً ،
وولّى امرأ ، فيما يَرى ، من ذوي العَدْلِ

قَعيدَك ! ماذا تَحْسَب المرءَ فاعلًا؟
فقلت : وماذا يَفْعل الدَّبْر في النَّحْل؟[1]

يَدُقّ خَلاياها ، ويأكل شُهْدَها ،
ويَترك للذّبّان ما كان من فَضْل

•

وقال أبو عثمان المازني لبعض من راءى فهتك الله ، عز وجل ، سِتره :

بَينا أنا في توبتي مُستَعبراً ، قد شَبَّهوني بأبي دُوادِ[2]
وقد حملتُ العِلم مُستظهراً ، وحَدّثوا عني بإسناد
إذ خَطر الشيطان لي خَطْرةً ، نُكستُ منها في أبي جاد[3]

•

---

١ قعيدك : نشدتك الله . الدبر : الزنابير .

٢ هذا البيت يختلف في وزنه عن البيتين التاليين ، فهو من الرجز ، وذانك من السريع .

٣ يقال : وقع فلان في أبي جاد ، أي في اختلاط واضطراب من الأمر .

وقال ابن أبي العتاهية : أرسلني أبي الى صُوفيّ قد قَيّر إحدى عينيه أسأله عن المعنى في ذلك؛ فقال : النَّظرُ الى الدنيا بكلتا عينيَّ إسراف .

قال : ثم بدا له في ذلك فاتصل الخبر بأبي فكتب اليه :

مُقَيِّرَ عينِه وَرَعا ، أردتَ بذلك البِدَعا
خَلَعْتَ ، وأخبثُ الثَّقَلَيـ ـن صُوفيّ ، إذا خَلعا[1]

•

يحيى بن عبد العزيز قال : حدّثني نُعيم عن إسماعيل ، رجل من ولد أبي بكر الصدّيق ، عن وَهْب بن مُنبِّه ، قال : نصب رجلٌ من بني إسرائيل فخّاً ، فجاءت عُصفورة ، فوقعت عليه ، فقالت : ما لي أراك مُنْحنياً ؟

قال : لكثرة صلاتي انحنيتُ .

قالت : فما لي أراك بادياً عِظامُك ؟

قال : لكثرة صيامي بَدَت عِظامي .

قالت : فما لي أرى هذا الصُّوف عليك ؟

قال : لزَهادتي في الدُّنيا لبستُ الصُّوف .

---

١ الثقلان : الانس والجن .

قالت : فما هذه العصا عندك ؟

قال : أتوكّأ عليها وأقضي بها حوائجي .

قالت : فما هذه الحبّة في يَدِك ؟

قال : قُربان إن مرّ بي مِسكين ناولتُه إياه .

قالت : فإني مسكينة .

قال : فخُذيها .

فقَبضت على الحبّة فإذا الفخُّ في عُنقها ، فجعلت تقول : قَمِي قَعِي. قال الحسن : تفسيره : لا غَرّني ناسكٌ مُراءٍ بعدك أبداً .

•

الدعاء

قال النبيُّ ، صلى الله عليه وسلم : الدُّعاء سِلاحُ المؤمن ، والدُّعاء يَرُدّ القدَر ، والبِرُّ يزيد في العُمر .

•

وقالوا : الدُّعاء بين الأذان والإقامة لا يُردُّ .

•

وقال النبيُّ ، صلى الله عليه وسلم : استَقبلوا البلاءَ بالدُّعاء.

•

وقال الله تعالى : « ادْعوني أستَجِبْ لَكُم . »

وقال تعالى : « فَلَوْلا إذْ جاءَهم بأسُنا تَضَرّعوا ولكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهم . »

•

وقال عبدُ الله بن عبّاس: إذا دعوتَ الله فاجعل في دعائك الصلاة على النبيّ ، صلى الله عليه وسلم، فإن الصلاة عليه مقبولة، والله أكرم من أن يَقبل بعضَ دُعائك ويرُدَّ بعضاً .

•

وقال سعيدُ بن المُسيَّب: كنتُ جالساً بين القَبْر والمِنْبر، فسمعتُ قائلًا يقول: اللهم إني أسألك عملًا بارّاً، ورِزقاً دارّاً، وعَيْشاً قارّاً. فالتفتُّ فلم أرَ أحداً.

•

هشامُ بن عُروة عن أبيه عن عائشة قالت: كنتُ نائمةً مع رسول الله، صلّى الله عليه وسلم، ليلةَ النِّصف من شَعبان، فلما أُلْصق جِلْدي بجِلْده أغفيتُ، ثم انتبهتُ، فإذا رسولُ الله، صلّى الله عليه وسلّم، ليس عندي، فأدْركني ما يُدرك النِّساء من الغَيرة، فَلفَفْت مِرطي[1]، أمَا والله ما كان خَزّاً ولا قَزّاً ولا دِيباجاً ولا قُطناً ولا كَتّاناً.

قيل: فما كان يا أُمّ المؤمنين؟

قالت: كان سَداه من شَعَر، ولُحْمته من أوبار الإبل.

قالت: فنَحوت إليه أطلبُه، حتى ألفيتُه كالثَّوب الساقط على وَجهه في الأرض وهو ساجدٌ يقول في سجوده: سَجد لك خَيالي وسَوادي، وآمَن بك فؤادي، هذه يَدي، وما جَنَيتُ بها على نفسي، يا مَن تُرَجَّى لكل عَظيم، فاغفر لي الذَّنب العَظيم.

---

١ المرط: كل ثوب مخيط.

فقلتُ : بأبي أنت وأُمي يا رسول الله ، إنّك لفي شأن ، وإني لفي شأن .

فرَفع رأسَه ثم عاد ساجداً ، فقال : أعوذُ بوَجْهك الذي أضاءت له السموات السَّبع ، والأرضون السَّبع ، من فَجْأةِ نقْمتك ، وتحوّل عافيتك ، ومن شرّ كتاب قد سبَق ، وأعوذ برِضاك من سُخْطك ، وبعَفوك من عُقوبتك ، وبك مِنْك ، لا أُحْصي ثناءً عليك أنتِ كما أثنيت على نَفْسك .

فلما انصرف من صَلاته تقدَّمت أمامه حتى دخلتُ البيت ولي نَفَسٌ عالٍ ، فقال : ما لك يا عائشة ؟

فأخبرتُه الخَبر .

فقال : ويْح هاتين الرُّكبتين ما لَقِيَتا في هذه اللّيلة !

ومَسح عليهما . ثم قال : أتَدْرين أيّ ليلة هذه يا عائشة ؟

فقُلتُ : اللهُ ورسولُه أعلم .

فقال صلّى الله عليه وسلّم : هذه الليلةُ ليلةُ النّصف من شعبان ، فيها تُوَقَّت الآجال ، وتُثبَّت الأعمال .

•

العُتبي عن أبيه قال : خرجتُ مع عُمَر بن ذرٍّ الى مكة

فكان إذا لَبَّى[1] لم يُلَبِّ أحدٌ من حُسن صوته ، فلما جاء الحَرم قال : يا ربِّ ، ما زلنا نَهْبط وَهْدَةً ، ونَصْعد أكمة ، ونَعْلو نَشَزاً[2] ، ويَبْدو لنا عَلَم[3] ، حتى جِئناك بها نَقِبَةً[4] أخفافُها ، دَبِرَةً[5] ظُهورها ، ذابلةً أسنِمَتُها ، وليس أعظمُ المَؤونة علينا إتعابَ أبداننا ، ولكن أعظم المؤونة علينا أن تُرْجِعَنا خائبين من رَحمتك ، يا خيرَ من نَزَل به النازلون .

وكان آخرُ يدعو بعَرفاتَ : يا ربِّ ، لم أعْصِك إذ عصيتُك جَهْلاً منّي بحقّك ، ولا استخفافاً بعُقوبتك ، ولكنّ الثقةَ بعَفْوك ، والاغترارَ بسِترك المُرْخى عليّ ، مع الشِّقوة الغالبة ، والقَدَر السابق ، فالآنَ من عذابك مَن يَستَنقذني ؟ وبِحَبْل مَن أعتَصِم إن قطعتَ حَبْلك عنّي ؟ فيا أسفي على الوقوف غداً بين يَدَيْك ، إذا قيل للمُخِفّين جوزوا ، وللمُذنبين حُطّوا .

•

---

١ لبى : قال : لبيك اللهم لبيك ، وهو من التلبية ، اجابة المنادي ، أي اجابتي لك يا رب .

٢ النشز : المكان المرتفع .

٣ العلم : الجبل .

٤ نقبة : حافية .

٥ دبرة : معقورة .

أبو الحسن قال : كان عُروة بن الزُّبير يقول في مُناجاته بعد أن قُطِعت رِجْلُه ومات ابنُه : كانوا أربعةً ، يعني بنيه ، فأخذتَ واحداً وأبقيت ثلاثة ، وكُنَّ أربعاً ، يَعني يديْه ورجليه ، فأخذتَ واحدةً وأبقيتَ ثلاثاً ؛ فلئن ابتليتَ لطالما عافيتَ ، ولئن عاقبتَ لطالما أنعمت .

•

وكان داود إذا دَعا في جَوف الليل يقول : نامت العيونُ ، وغارت النجومُ ، وأنت حيّ قَيُّوم ، اغفر لي ذَنبي العظيم فإنه لا يَغْفِر الذنبَ العظيمَ إلا العظيم ، إليك رفعتُ رأسي ، نَظَرَ العَبْدِ الذليل الى سيِّده الجليل .

•

وكان من دُعاء يوسف : يا عُدَّتي عند كُربتي ، ويا صاحبي في غُربتي ، ويا غايَتي عند شدَّتي ، ويا رَجائي إذا انقطعت حِيلتي ، اجعل لي فَرَجاً ومَخْرجاً .

•

وكان عبدُ الله بنُ ثعلبة البصْريّ يقول : اللهم أنت من حلْمك تُعصى وكأنك لا تَرى ، وأنت من جُودك وفَضْلك تُعطي وكأنك لا تُعطي ، وأيّ زمان لم يَعْصِك فيه سُكان أرضك فكُنتَ عليهم بالعفوِ عَوّاداً وبالفَضْل جَواداً ؟

•

وكان من دُعاء علي بن الحسين ، رضي الله عنه : اللهم إني أعوذ بك أن تُحسّن في مَرأى العُيون عَلانِيَتي ، وتُقَبّح في خَفيّات القُلوب سَريرتي ، اللهم وكما أسأتُ فأحسنتَ إليّ ، إذا عُدتُ فعُدْ عليّ ، وارزقني مُواساة مَن قَتَّرتَ عليه ما وسَّعتَ عليّ .

•

الشيبانيّ قال : أَصاب الناسَ ببغداد ريحٌ مُظْلِمة ، فانتهيتُ الى رجل في المسجد وهو ساجد يقول في سُجوده : اللهم احفظ محمداً في أُمته ، ولا تُشمِت بنا أعداءنا من الأمم ، فإن كنتَ أخذتَ العوامَّ بذنبي ، فهذه ناصِيتي بين يديك .

•

وكان الفُضيل بن عِياض يقول : إلهي ، لو عَذّبتَني بالنار لم يَخرُج حُبُّك من قلبي ، ولم أَنسَ أياديك عندي في دار الدنيا .

•

وقال عبدُ الله بنُ مسعود : اللهم وَسِّع عليّ في الدنيا وزهِّدني فيها ، ولا تُزْوِها عنّي وتُرَغِّبني فيها .

•

مرَّ أبو الدَّرداء برجل يقول في سُجوده : اللهم إني سائلٌ

فقير فأغنِني من سَعةِ فَضلك ، خائفٌ مُستجير فأجِرْني من عَذابك .

•

الأصمعيُّ قال : كان عَطاءُ بنُ أبي رَباح يقول في دُعائه : اللهم ارحم في الدُّنيا غُربتي ، وعند الموت صَرعتي ، وفي القُبور وَحْدتي ، ومَقامي غداً بين يديك .

•

العُتبيّ قال : حدَّثني عبدُ الرحمن بن زياد قال : اشتكى أبي فكتب الى أبي بكر بن عبد الله يسأله أن يدعوَ له ، فكتب إليه : حقٌّ لمن عَمِل ذنباً لا عُذرَ له فيه ، وخاف مَوتاً لا بُدَّ له منه ، أن يكون مُشفِقاً ، سأدعو لك ، ولستُ أرجو أن يُستجاب لي بقُوّةٍ في عَمل وبراءة من ذَنْب .

•

العُتبي قال : كان عبدُ الملك بن مَرْوان يَدعو على المِنْبر : يا ربّ ، إنّ ذُنوبي قد كَثُرت وجَلّت عن أن تُوصف ، وهي صَغيرة في جَنْب عَفْوك ، فاعفُ عنّي .

كيف يكون الدعاء

سُفيان بن عُيَينة عن أبي مَعْبد عن عِكْرمة عن ابن عبّاس قال : الاخلاص هكذا ، وبَسط يدَه اليُسرى وأشار بإصبعه من يده اليُمنى ؛ والدعاء هكذا ، وأشار براحتيه الى السماء ؛ والابتهال هكذا، ورفع يدَيه فوق رأسه وظُهورُهما الى وجهه .

•

سُفيان الثّوري قال: دخلتُ على جَعفر بن محمد، رضي الله عنهما ، فقال لي: يا سُفيان ، إذا كثُرَت هُمومك فأكثِر من لا حَولَ ولا قُوّة إلا بالله العليّ العظيم ، وإذا تَدارَكتْ عليك النّعم فأكثِر من الحَمْد لله ، وإذا أبطأ عنك الرّزق فأكثِر من الاستغفار .

•

وقال عبدُ الله بن عبّاس : لا كَبيرةَ مع استغفار ، ولا صغيرةَ مع إصرار .

•

وقال عليّ بن أبي طالب ، رضي الله عنه : عجباً ممن يَهْلِك والنّجاة معه .

قيل له : وما هي ؟

قال : الاستغفار .

دعاء النبي صلى الله عليه وسلم

وأبي بكر الصديق وعمر رضوان الله عليهما

أُمُّ سَلَمة قالت : كان أكثرُ دُعاء رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : يا مُقلِّب القُلوب ثَبِّت قلبي على دِينك .

المُغيرة بن شُعْبة قال : كان رسولُ الله ، صلى الله عليه وسلم، إذا سلَّم من الصلاة يقول: لا إله إلا الله وحدَه لا شريكَ له ، له المُلك وله الحَمْد وهو على كلِّ شيء قدير .

•

وكان آخرُ دُعاء أبي بكر الصدِّيق ، رضي الله عنه ، في خُطْبته : اللهمّ اجعلْ خيرَ زماني آخرَه ، وخيرَ عَملي خواتِمَه ، وخيرَ أيّامي يومَ لِقائك .

•

وكان آخرُ دُعاء عمرَ ، رضي الله عنه ، في خُطبته : اللهمّ لا تَدَعْني في غَمْرة ، ولا تأخُذني في غِرَّة ، ولا تَجْعلني مع الغافِلين .

الدعاء عند الكرب

عبدُ الله بن مسعود قال : كان رسولُ الله ، صلى الله عليه وسلم، يقول : ما مِن عَبْدٍ أصابه همٌّ فقال : اللهم إني عبدُك وابنُ عَبْدك وابنُ أَمَتك، ناصيتي بيَدك، ماضٍ فيَّ حُكمُك، عَدْلٌ فيَّ قضاؤك، أسألك بكلِّ اسمٍ سَمَّيت به نَفْسَك، أو ذَكرْتَه في كتابك، أو عَلّمته أحداً من خَلْقك، أو استأثرتَ به في عِلم الغَيْب عندك، أن تَجعل القرآن ضِياءَ صَدري، وربيعَ قلبي، وجَلاء حُزني، وذَهاب هَمّي ؛ إلاّ أذهَب اللهُ هَمَّه وبَدَّله مَكانَ حُزنه فرحاً .

•

وقالوا : كلماتُ الفَرَج من كلِّ كرْب : لا إله إلا الله الكريم الحَليم ، وسُبحان الله رَبِّ العرش العظيم ، والحمدُ لله ربِّ العالمين .

•

الكلمات التي تلقى آدم من ربه

اللهمَّ لا إله إلا أنتَ سُبْحانك وبحمدك ، عَمِلْتُ سُوءًا وظلمتُ نفسي فتُبْ عليَّ إنك أنتَ التوَّاب الرَّحيم .

اسم الله الاعظم

عبدُ الله بن يزيد عن أبيه قال : سَمِع النبيُّ ، صلى الله عليه وسلم، رجلًا يقول: اللهمَّ إني أسألُك بأنك أنت الله الأحد الصَّمد الذي لم يَلِد ولم يُولد ولم يَكُن له كُفُواً أحد .

فقال النبيُّ ، صلى الله عليه وسلم : لقد سألتَ الله باسمه الأعظم الذي إذا دُعي به أجاب وإذا سُئِل به أعطى .

أسماءُ بنت يَزيد عن النبيّ ، صلى الله عليه وسلم، أنه قال: اسم الله الأعظم فيما بين الآيتين : « وإلهكم إله واحِد لا إله إلاَّ هو الرَّحمَن الرَّحيم » ، وفاتحة آل عمران : « الم . اللهُ لا إله إلاَّ هو الحَيُّ القَيُّوم . »

الاستغفار

شَدّاد بن أوس عن النبي، صلى الله عليه وسلم، قال: سيّد الاستغفار أن تقول : اللهمّ أنت ربي لا إله إلاّ أنتَ خَلَقْتني وأنا عَبْدُك ، وأنا على عَهْدك ووعدك ما استطعتُ، أعوذ بك من شرّ ما صَنَعْتُ ، أَبُوءُ[1] لك بنِعْمتك عليّ وأبوء بذنبي، فاغفِر لي إنّه لا يَغْفر الذُّنوب إلاّ أنت .

•

الأسْودُ وعَلْقمة قالا : قال عبدُ الله بن مَسعود : إنّ في كتاب الله آيَتَين ما أصاب عبدٌ ذنباً فقَرأهما ثم استغفر اللهَ إلاّ غُفر له : « والذين إذا فَعلُوا فاحشةً أو ظلَمُوا أنفُسهم » الى آخر الآية « ومَن يَعْمَل سُوءًا أو يَظْلم نَفْسَه ثم يَستغفِر اللهَ يَجِد اللهَ غَفُوراً رحيماً . »

•

أبو سعيد الخُدْريّ قال : مَن قال : أستغفر اللهَ الذي لا إله إلاّ هو الحيُّ القيُّوم وأتُوب إليه . خَمس مَرّات غُفِر له ولو فَرّ من الزّحف .

•

---

١ أبوء : أقر ، واعترف .

دعاء المسافر

عِكْرِمَة عن ابن عبّاس قال : كان رسولُ الله ، صلى الله عليه وسلم ، إذا أراد سَفَراً قال : اللهمّ أنت الصاحبُ في السَّفر ، والخَليفة في الحَضَر . اللهمّ إني أعوذ بك من وعثاء السَّفر ، وكآبة المُنقلَب ، والحَور بعد الكَور[1] ، ومن سُوء المَنظر في الأهل والمال .

•

الشَّعبيُّ عن أُمّ سَلَمة قالت : كان النبيُّ ، صلى الله عليه وسلم ، إذا خرج في سَفَر يقول : اللهم إني أعوذ بك أنْ أَذِلّ أو أَضِلّ أو أَظْلِم أو أُظْلَم أو أَجْهل أو يُجْهل عليّ .

وقالت : مَن خَرج في طاعة الله فقال : اللهمّ إني لم أخرُج أشَراً ولا بَطَراً ولا رِياء ولا سُمْعة ، ولكني خرجتُ ابتغاء مَرضاتك واتقاء سُخْطك ، فأسألك بحقّك على جميع خَلقك أن تَرزُقني من الخير أكثرَ ممّا أرجو ، وتَصْرف عني من الشرّ أكثرَ مما أخاف ؛ استُجيب له بإذن الله .

---

١ الحور : النقصان . الكور : الزيادة .

الدعاء عند الدخول على السلطان

سعيد بن جُبَير عن ابن عبّاس قال: إذا دخلتَ على السلطان وهو مَهيبٌ تخاف أن يَسْطو عليك فقُل: الله أكبرُ وأعزّ مما أخاف وأحْذر، اللهمّ ربّ السّموات السّبع وربّ العرش العظيم، كُن لي جاراً من عَبدك فلان وجُنوده وأشياعه وأتباعه، تبارك اسمُك وجلّ ثناؤك وعزّ جارُك ولا إله غيرك.

•

أبو الحسن المدائنيّ قال: لما حجّ أبو جَعْفر المنصور مَرّ بالمدينة فقال للرّبيع: عليّ بجعفر بن محمد، قتلني الله إن لم أقتُله.

فمُطِل به، ثم أُلِحّ فيه، فحَضر. فلما كُشِف السّترُ بينه وبينه ومَثُل بين يَدَيه، هَمَس جعفر بشَفَتَيْه، ثم تقرّب وسلم؛ فقال: لا سلم الله عليك، يا عدوّ الله، تُعْمِل عليّ الغوائلَ في مُلكي، قتَلَني الله إن لم أقتُلك.

فقال له جعفر: يا أمير المؤمنين، إن سُليمان، صلى الله عليه وسلم، أُعْطي فشكر، وإن أيوب ابتُلي فصَبَر، وإنّ يوسف ظُلم فغَفَر، وأنت على إرثٍ منهم وأحقُّ من تأسّى بهم.

فنكّسَ أبو جعفر رأسَه مَليّا ثم رفع إليه رأسَه وقال : إليّ يا أبا عبد الله ، فأنتَ القريبُ القَرابة ، وإنك ذو الرَّحِم الواشِجة ، السَّليم الناحية ، القليل الغائلة ؛ ثم صافحه بيَمينه وعانقه بيَساره وأجْلسه معه على فِراشه وانحرف له عن بَعْضِه وأقبَل عليه بوجْهِه يُسائله ويُحادثه ، ثم قال : عجّلوا لأبي عبد الله إذنَه وكُسْوته وجائزته .

قال الرّبيع : فلما خَرج وأُسْدل السِّتر أمْسَكتُ بثَوبه فارتاع ، وقال : ما أرانا يا رَبيع إلا قد حُبِسنا .

قلتُ : هذه منّي لا مِنه .

قال : فذلك أيْسَر ، قُلْ حاجتَك .

قلت : إني منذ ثلاثٍ أُدافع عنك وأُداري عليك ، ورأيتُك إذ دخلتَ همَسْتَ بشَفَتيك ، ثم رأيتُ الأمرَ انجلى عنك ، وأنا خادم سُلطان ولا غِنى بي عنه ، فأحِب منك أن تُعَلّمَنيه .

قال : نعم ، قُل : اللهم احْرُسني بعَيْنك التي لا تنام ، واكنُفْني بكَنَفك الذي لا يُرام ، ولا أهْلِك وأنت رَجائي ، فكم من نِعْمة أنعَمْتها عليّ قَلّ عندها شُكري فلم تَحْرِمْني ، وكم من بليّة ابتَليتني بها قلّ عندها صَبري فلم تَخذُلْني ، اللهم بك أدْرَأُ[1] في نَحره ، وأعوذ بخَيرِك من شرّه .

---

١ أدرأ : أدفع شديداً .

الدعاء على الطعام

مَن قال على طعامه : بسم الله خيرِ الأسماء في الأرض وفي السماء، ولا يَضُر مع اسمه داء، اللهم اجعل فيه الدّواء والشّفاء؛ لم يضُرّه ذلك الطعام كائناً ما كان .

وكان النبيّ ، صلّى الله عليه وسلّم ، إذا فرَغ من طَعامه قال : الحمد لله الذي مَنّ علينا وهَدانا، وأطعَمنا وأروانا، وكلّ بلاء حَسن أبْلانا .

•

الدعاء عند الاذان

مَن قال إذا سَمِع الأذان : رضيتُ بالله ربّاً ، وبالإسلام ديناً ، وبمحمّد نبيّاً ؛ غفر له ذُنوبه .

وقال النبيُّ ، صلّى الله عليه وسلّم : إذا سَمِعتم الأذان فقُولوا مِثل ما يقول المُؤَذن .

الدعاء عند الطيرة

قال النبيُّ ، صلّى الله عليه وسلّم : مَن رأى من الطَّير شيئاً يَكرَهه فقال : اللهم لا طَيْرَ إلا طَيرك ، ولا خير إلا خيرك ، ولا إله غَيرك ؛ لم يَضِرْه .

•

الساعة التي يستجاب فيها الدعاء

الفُضَيل عن أبي حازم عن أبي سَلمة بن عبد الرحمن عن ناسٍ من أصحاب رسول الله ، صلّى الله عليه وسلّم ، أنهم أجْمعوا أنّ الساعة التي يُستجاب فيها الدعاء آخر ساعة من يوم الجُمعة .

التعويذ

أنَس بن مالك قال : كان النبيُّ ، صلّى الله عليه وسلّم ، يقول : اللهم إني أعوذ بك من علمٍ لا يَنْفَع ، وقَلب لا يَخشَع ، ودُعاء لا يُسمَع ، ونَفْس لا تَشبَع . اللهم إني أعوذ بك من هذه الأربع .

وقال صلّى الله عليه وسلّم : من قال إذا أمْسى وأصْبَح : أعوذ بكلمات الله التامّات المباركات التي لا يجاوزهنّ بَرّ ولا فاجر ، من شرّ ما يَنزل من السماء ، ومن شرّ ما يَعرُج فيها ، ومن شرّ ما ذَرَأَ[1] في الأرض وما يَخْرُجُ منها ؛ لم يَضِرْه شيء من الشياطين والهوامّ .

•

مَسروق عن عائشة ، رضي الله عنها ، قالت : كان رسولُ الله ، صلّى الله عليه وسلّم ، يُعَوِّذ الحَسن والحُسين ، رضي الله عنهما ، بهذه الكلمات : أُعِيذكما بكلمات الله التامّة ، من كل

---

١ ذرأ : خلق .

عينٍ لامّة[1]، ومن كل شيطان وهامّة .

وكان إبراهيمُ ، صلّى الله عليه وسلم ، يُعَوّذ بها إسماعيل وإسحاق .

•

وقال أعرابيّ يصف دَعوة :

وساريةٍ لم تَسْرِ في الأرض ، تَبْتَغي
مَحَلاً ، ولم يَقْطَعْ بها البِيدَ قاطعُ

سَرَتْ حيث لم تَسْرِ الرِّكابُ ، ولم تُنَخْ
لِوِرْدٍ ، ولم يَقْصُر لها القَيْدَ مانع

تَظَلُّ وراءَ اللَّيل ، والليلُ ساقطٌ
بأرْواقه ، فيه سَمِيرٌ وهاجع[2]

تَفَتَّحُ أبوابُ السماء لِوَفْدِها ،
إذا قَرَعَ الأبوابَ منهنّ قارع

إذا سألَتْ ، لم يُرْدُد اللهُ سُؤلَها
على أهْلِها ، واللهُ راءٍ وسامع

---

١ اللامة : المصيبة بسوء .
٢ أرواق الليل : ظلمته .

وإني لأرجو اللهَ ، حتى كأنما
أرى بجميل الظنّ ما الله صانع

•

ومن قولنا في هذا المعنى :

بُنيّ لئن أعيا الطبيبَ ، ابنَ مُسْلِم،
ضَناك ، وأعْيا ذا البَيان المُسجَّعِ

لأبْتَهِلنْ تحت الظَّلام بدَعْوة،
متى يَدْعُها داعٍ ، الى الله ، يُسمَع

يُقلقل ما بين الضلوع نَشيجُها،
لها شافِع من عَبْرَةٍ وتضرُّع

إلى فارج الكَرْب المُجيب لمن دعا،
فَزَعْتُ بكَرْبي ، إنه خير مَفْزع

فيا خيرَ مَدعُوٍّ دعوتُك ، فاسْتَمع،
وما لي شَفيع غيرُ فَضْلك ، فاشْفَع

•

سحر البيان

كتاب الزمردة في المواعظ والزهد ٥
مواعظ الانبياء عليهم السلام ١٠
من وحي الله تعالى الى انبيائه ١٥
مواعظ الحكماء ١٩
مكاتبة جرت بين الحكماء ٢٥
مواعظ الآباء للأبناء ٢٩
مقامات العباد عند الخلفاء : مقام صالح بن عبد الجليل . ٤٠
مقام رجل من العباد عند المنصور . . . ٤١
مقام الاوزاعي بين يدي المنصور . . . ٤٦
كلام ابي حازم لسليمان بن عبد الملك . . ٤٩
مقام ابن السماك عند الرشيد ٥١
كلام عمرو بن عبيد عند المنصور . . . ٥٣
خبر سفيان الثوري مع ابي جعفر . . . ٥٤
كلام شبيب بن شيبة للمهدي ٥٥
من كره الموعظة لبعض ما يكون فيها من الغلظ او الخرق ٥٦
كلام الزهاد واخبار العباد ٦٢
كيف يكون الزهد ٦٨
صفة الدنيا ٧٠
قولهم في الخوف ٨١
قولهم في الرجاء ٨٦

قولهم في التوبة ٨٩
المبادرة بالعمل الصالح ٩٤
العجز عن العمل ٩٧
قولهم في الموت ١٠٠
قولهم في الطاعون ١١٢
من احب الموت ومن كرهه ١١٩
التهجد ١٢٢
البكاء من خشية الله عز وجل ١٢٤
النهي عن كثرة الضحك ١٢٦
النهي عن خدمة السلطان واتيان الملوك . . . ١٢٧
القول في الملوك ١٣٣
بلاء المؤمن في الدنيا ١٣٥
كتمان البلاء اذا نزل ١٣٧
القناعة ١٤٠
الرضا بقضاء الله ١٥٣
من قتر على نفسه وترك المال لوارثه ١٥٥
نقصان الخير وزيادة الشر ١٥٩
العزلة عن الناس ١٦٠
اعجاب الرجل بعلمه ١٦٣
الرياء ١٦٦
الدعاء ١٧٢
كيف يكون الدعاء ١٧٩
دعاء النبي صلى الله عليه وسلم وأبي بكر الصديق وعمر
رضوان الله عليهما ١٨٠

الدعاء عند الكرب ١٨١
الكلمات التي تلقى آدم من ربه – اسم الله الأعظم . ١٨٢
الاستغفار ١٨٣
دعاء المسافر ١٨٤
الدعاء عند الدخول على السلطان . . . ١٨٥
الدعاء على الطعام – الدعاء عند الاذان . . ١٨٧
الدعاء عند الطيرة – الساعة التي يستجاب فيها الدعاء . ١٨٨
التعويذ ١٨٩

العقد الفريد

١ السلطان وعدل ساعة
٢ تحت ظلال القنا
٣ الأيدي السخيّة
٤ وفود العرب
٥ مخاطبة الملوك
٦ أبناء النور ١
٧ أبناء النور ٢
٨ ابناء النور ٣
٩ أمثال العرب
١٠ سحر البيان
١١ دموع الأحزان
١٢ أنساب العرب
١٣ من خيام الأعراب
١٤ فيض الخواطر
١٥ أدب المنابر
١٦ الكتابة والكتّاب

١٧ أخبار الخلفاء ١
١٨ أخبار الخلفاء ٢
١٩ أخبار الخلفاء ٣
٢٠ أمراء المسلمين
٢١ أيام العرب ١
٢٢ أيام العرب ٢
٢٣ طرائف الشعراء ١
٢٤ طرائف الشعراء ٢

892.78:I1314ikA:v.10:c.1
البستاني، كرم
العقد الفريد
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES
01042091

American University of Beirut

892.78
I1314ikA
v.10

General Library

892.708
I132ikaA
v.10
c.1